14 me Année No. 666

Lundi—8—4—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٦٥ — ٨ أبريل سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف :

حل حاسم لمشكلة الأزهر

غاية الأزهر التى اتجه إليها منذ اكتمل أمره أن يفقّه الناس فى الدين وفيما تفرّع عن أصوله من شتى العلوم؛ وسبيله إلى هذه الغاية أن يعلم اللغة وما اتصل بآدابها من مختلف الفنون؛ فالدين واللغة إذن هما علة وجوده وجوهر علمه وثمرة عمله. ومن مزية الإسلام أن يرُن مع الزمن ويتجدد بالعلم ليلائم كل عصر ويعالج كل حالة. ومن طبيعة العربية أن تتطور مع الجماعة وتتسع بالحضارة لتعبر عن كل معنى وتدل على كل ذات. وكان من ثمر هذه المرونة فى الدين هذا الفقه العالمى العجيب، ومن أثر هذا التطور فى اللغة هـذا الأدب الإنسانى الخصيب. فلما تدفقت الخطوب على حواضر الإسلام والعروبة فمال الميزان ودال السلطان وانتقض الأمر وعجز العقل، جهل المسلمون مرونة دينهم فأغلقوا باب الاجتهاد، وأنكر العرب تطور لغتهم فصدوا عن سبيل الأدب. وتقدم الغرب وتأخر الشرق، وسيطر العلم وتعطل الإسلام، وتطور التعليم وجمد الأزهر، وولى المصريون وجوههم شطر أوربا يأخذون عنها ما كانت أخذته عنهم، ثم استأنفوا السير فى ركب الحياة. ولكن الأزهر ظل فى موقفه فلم يسر، وأخذته الصيحة من كل مكان فلم ينتبه، وسألوه أن يمدهم بشيوخ الدين ورجال العربيـة وهما غايته ووسيلته فلم يستطع. حينئذ اضطر أولو الأمر إلى إنشاء (دار العلوم) لتعليم اللغة، ثم إلى إنشاء (مدرسة القضاء) لتطبيق الشريعة، وتركوا الأزهر المعمور مُتحفاً لآثار غير ثمينة من الكتب القديمة والآراء العقيمة؛ يتعبد بألفاظها قوم من فارغى القلوب قد اطمأنوا إلى الخمول، ورضوا بالدون، وعاشوا على فضل الناس، حتى دخلت النهضة المصرية فى أوائل ربيعها المزهر، فهب كل وسنان وانتعش كل ذابل. وتيقظ الأزهريون من رقادهم الطويل فإذا هم عراة من حلل الثقافة الحديثة؛ فطفقوا يخصفون على سوءاتهم مما تناثر حول الأزهر من ورق الربيع؛ ولكنهم ظلوا متميزين من سائر المصريين بهـذا الورق الذى لا يدفىء ولا يستر، فنزعوا بأنفسهم عن معرة التخلف، وتنافسوا فى اقتباس المعرفة، وأرادوا الدين للدنيا، وطلبوا العلم للحياة، وهتفوا وهتفنا معهم بالإصلاح. ولكن بقايا الراقدين على حطام الماضى يفزعون من هذا الإصلاح لأنه يجرفهم كما يجرف السيل الهشيم! فهم يُلقون بأجسادهم إلقاء فى طريق الشباب ليعوقوهم عن بلوغ الأمد المحتوم، والأمد المحتوم الذى سيبلغه الشباب الأزهريون ولاشك هو أن يتعلموا ليعيشوا ما دام الإسلام لا يتبنى الرهبان ولا يبنى الأديرة. وقد أخذوا، منذ نقل الأستاذ المراغى طيب الله ذكره صورة النظام الجامعى إلى الأزهر، يفكرون فى مصيرهم بعد العالمية والتخصص، وفى موقفهم من دار العلوم وكلية الآداب، ويقولون لأنفسهم حينا وللناس حينا آخر: نحن خمسة عشر ألفاً

من شباب الأمة أو تزيد ، فينا مواهب وعلينا تكاليف ولنا مستقبل ؛ فلِمَ نتعلم إذا قضى علينا ألا نعمل ؟ وكيف تنفق أموال الدولة على معاهد قصارى أمرها أن تخرّج في كل عام قوما متبطلين لا هَمّ لأنفسهم ولا لله ولا للوطن ؟ وإذا كان تعليمنا على هذا المنهج الخاص لا يؤهلنا لابتغاء الرزق إلا من تعليم اللغة والدين في المدارس ، فما غاية الحكومة إذن من قيام هذه المعاهد التي تنافسنا في الحرفة وتخاصمنا على القوت ؟ وإذا كان تخلف الأزهر في عهد إسماعيل قد اضطر علي مبارك باشا إلى إنشاء (دار العلوم) فما الضرورة الملجئة اليوم إلى بقائها والأزهر جامعة والدرس مُستقصًى والمدرس مختص ؟ ولكن الدرعميين والجامعيين في الجهة الأخرى يجيبون على هذه النجوى أو الشكوى بأن الإعداد مختلف والتحصيل متفاوت ، وما تستوي الفوضى والنظام ولا النقص والتمام ولا التقليد والأصالة . ووقف الفريقان يتلاحيان ، رأياً إزاء رأي ، وإضراباً وراء إضراب ، واحتجاجا إثر احتجاج ، ومن هنا نشأت المشكلة بين المعاهد وأعضلت . وجهدت مشيخة الأزهر ووزارة المعارف جهدها أن تعالجاها بالدواء المسكن لا بالطِّباب الحاسم ، فكانت كالثوب المتداعي كلما رتق من جانب تفتق من جانب آخر .

لذلك نتقدم اليوم إلى هاتين الجهتين باقتراح نرجو إذا خلصت النيات وصدقت العزائم ، أن يكون مقطع الحق في فض الخلاف وإصلاح الأزهر .

ذلك الاقتراح هو :

١ — أن يلغى التعليم الابتدائي من جميع المعاهد الدينية ليُلقَى بمقاليده إلى وزارة المعارف ، تُلزمه وتقسِّمه وتممه على الوجه الذي تراه . وذلك بدء الوحدة الثقافية بين أبناء الأمة

٢ — أن تجعل المعاهد الدينية في القاهرة وفي الأقاليم مدارس ثانوية يدخلها حاملو الشهادة الابتدائية العامة ، و تعلم فيها اللغات والرياضيات والآداب والعلوم على منهج وزارة المعارف . وفي أول السنة الثالثة منها يتجه طلابها اتجاهين على حسب مرادهم واستعدادهم : إما اتجاها إلى الدين وعلومه ، وإما اتجاها إلى اللغة وفنونها . فإذا انقضت السنوات الدراسية الخمس تقدم طلاب الشعبتين إلى امتحان الشهادة الثانوية مع سائر إخوانهم من جميع المدارس ، يمتحنون معهم فيما يتفقون فيه ، وينفردون انفراد شُعب التوجيهية فيما اختصوا به . والناجحون في هذا الامتحان سيجدون أمامهم طريقين هم بالخيار في سلوك أحدهما : طريق الوظيفة الوسط، وطريق الدراسة الأزهرية العليا. فإذا اختاروا طريق الوظيفة عينوا كَتَبة في المعاهد الدينية ، أو في المحاكم الشرعية ، أو في المجالس الحسبية ، أو في بعض الأقسام من وزارات الأوقاف والمعارف والشؤون ، أو عينوا موثقين شرعيين في المدائن والقرى . ذلك إلى أن لهم الحق بحكم شهادتهم أن يسابقوا في الامتحان إلى أي وظيفة من وظائف الدولة . وإذا اختاروا طريق الدراسة العليا دخلوا القسم الجامعي بالأزهر .

٣ — أن يقتصر في التعليم الجامعي في الأزهر على كليتين اثنتين : كلية الدين وتندمج فيها كلية الشريعة وكلية أصول الدين. وكلية اللغة وتندمج فيها كلية اللغة العربية ودار العلوم وقسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعتي فؤاد وفاروق . ويشترك الكليتان في الدراسة العميقة للغتين العربية والأوربية ، وتنفرد كلية اللغة بتاريخ الآداب العربية والأجنبية ، كما تنفرد كلية الدين بتاريخ الأديان السماوية والأرضية . وذلك بالطبع فوق ما تختص به كلتا الكليتين من علوم الدين ، أو من فنون اللغة . وما يتصل بهذه أو بتلك من العلوم الحديثة . ومدة الدراسة في الكليتين أربع سنين للعالمية أو الليسانس ، وست سنين للتخصص أو الدكتوراه . ومن يرد من طلاب الكليتين الاستعداد للتعليم قضى في معهد التربية سنتين بعد الليسانس لمن يريد التعليم في الثانويات ، ومثلهما بعد الدكتوراه لمن يريد التعليم في الكليات . والمتخرجون في كلية اللغة يزاولون تعليم اللغة والأدب في المعاهد الدينية ، وفي جميع مدارس الدولة ابتدائية وثانوية وعالية ، فضلا عن مزاولتهم الترجمة والتحرير والصحافة . وأما المتخرجون في كلية الدين فيزاولون القضاء ، والمحاماة ، والامامة ، والوعظ ، والخبرة ، والتفتيش في المساجد والمعاهد ، وتدريس الدين والشريعة في كل مكان يدرسان فيه .

بهذا النظام يحتفظ الأزهر بقديمه ويشارك في جديد الناس ، وبهذا النظام تمحى الفروق المعنوية والمادية بين طلابه وسائر الطلاب ، وبهذا النظام تتحقق وحدة الثقافة وتنقطع أسباب الفرقة ويساهم الأزهر في شركة المدنية . فإن أردتم الإصلاح فهذه سبيله واضحة ؛ وإن أبيتم إلا التخدر والتجبير والتقيّة ، فأضيفوا من فضلكم كلية للدين إلى جامعة فؤاد ثم أغلقوا الأزهر !

أحمد حسن الزيات

يوم من أيام مصر الخالدة بأنقرة

الغازي مصطفى كمال

بدار المفوضية الملكية المصرية

للأستاذ أحمد رمزي

في مساء يوم الأحد ٢٦ مارس سنة ١٩٣٣ شرف أتاتورك أو الغازي مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية وزعيم تركيا بزيارته دار المفوضية الملكية المصرية بأنقرة ، وكان ذلك في منتصف الليل تماماً حين دقت الساعة الثانية عشرة ، وحدث هذا في الحفلة التي أقامتها المفوضية بمناسبة عيد ميلاد المغفور له الملك أحمد فؤاد الأول طيب الله ثراه . ولما دخل وقف المدعوون من رجال الحكومة وأعضاء السلك السياسي وغيرهم ، وقد تملكتهم الدهشة ، لأنها كانت أول مرة يزور فيها الرئيس الغازي دار مفوضية أجنبية ، إذ لم يسبق حدوث شيء من ذلك للسفارات أو المفوضيات التي يتولاها السفراء والوزراء المفوضون ، فما بالك بزيارته لمفوضية على رأسها قائم بالأعمال !

وكتبت في مذكراتي اليومية عن أثر هذه المفاجأة وقت دخوله ما يأتي : « كنت ترى في عينيه بريقاً يشع من القوة المعنوية الهائلة التي تعتمد على إرادة راسخة فعّالة ، وتلمس من نظرته الحادة قدرة وثقة في النفس يدعمها إيمان ثابت وعقيدة لا تلين في الرسالة التي سلمتها الأقدار إليه لخدمة بلاده وأمته » !

كان يوماً لا ككل الأيام التي عشتها لا أدري كيف ابتدأ ، ولا أشعر متى انتهى حتى مطلع الفجر ، إذ كان يحمل إليّ في كل ساعة مفاجأة ، فقد أصبحنا كعادتنا لم نتغير موعداً للقيام ، ولكن المفوضية كانت في حركة دائمة منذ الصباح الباكر ، إذ حضر « المتالون » فأخذوا ينقلون كل شيء من مكاتبنا ، ويجيء الخدم بعدهم لترتيب الحجرات وتنسيقها لحفلة المساء . وفي الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم زارنا مدير المراسم أو التشريفات أو البروتوكول سمها كما شئت ، وكان اسمه شوكت فؤاد بك ، جاء لابساً بدلة « البونجور » ، وفي يده قبعته العالية ، ومعه قفازه ، حضر ليعرب لحضرة توحيد السلحدار بك القائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية عن تهاني حكومة الجمهورية التركية وأمانيها الطيبة لجلالة ملك مصر المعظم ولشعب مصر ، وقد أفرغت هذه الزيارة في قالب خاص من الود الصميم والمجاملة ، فكانت خير ما يعبر عن العواطف الودية الأكيدة التي تشعر بها تركيا نحو مصر ، ولما تناول القهوة والمرطبات انصرف مشيعاً بالاحترام اللائق .

وأمضينا اليوم قياماً لا نملك وقتاً يتسع لطعام أو راحة ، إذ المخابرات التلفونية لم تنقطع مع استانبول ، والخدم في حركة وذهاب وإياب بين المحطة والمفوضية ، وبينهما وبين المدينة لاستكمال ما يلزم لمأدبة العشاء التي سيحضرها رئيس الوزراء والوزراء ، والتي ستعقبها حفلة ساهرة لمئات المدعوين .

وكنت مأخوذاً ذات اليمين وذات الشمال أتنقل بين الطابقين ، ولما وجدت برهة أخلو فيها لنفسي أخذت أرتب ملابس السهرة وكانت الساعة السادسة مساء ، فإذا بجرس التليفون يدق ويدعوني بسرعة إلى المستشفى العسكري ، لأن القائم بالأعمال الأستاذ توحيد السلحدار بك قد أصيب في حادث تصادم وقع بين سيارته وعربة نقل محملة بالرمال . فتركت ما بين يديّ ، وخرجت مسرعاً إلى الطريق العام ، ولمحت سيارة أجرة من نوع فورد الخشبية ، وهي التي تحمل أربعة أو خمسة من الركاب يشتركون فيها ، حتى أشرت إليها بالوقوف وقفزت فيها ، وكان الأتراك يطلقون عليها اسم «قابتى قاشتى» ، وأهل أنقرة ينطقون الكاف قافاً ، ومعنى ذلك أخذ وهرب ، أي استلم وأسلم رجليه للريح . وذهبت إلى المستشفى فأدخلت تواً إلى حجرة العمليات ، فوجدت توحيد بك هناك والدم قد غمر بدلته وقميصه ، ورأيت طبيب الغازي يعنى به ويضمد جرحاً كبيراً في جبهته ، ويعالج ذلك برفق وتؤدة ، وقد بدا بعض الاصفرار على وجه الجريح ، ولكنه لم يفقد شيئاً من ثباته وهدوئه ورباطة جأشه . ولما أراد الطبيب أن يستعمل مخدراً يخفف من ألم الجرح وشدة وقع الصدمة رفض ذلك ، إذ تمثلت رجولته في شجاعته وصموده واحتماله لما يشكو منه في رأسه ويده ، فدهش من حضر لما رأوه يقظاً واعياً يحادثهم والطبيب يلازم عمله في خياطة جرح الجبهة .

وكان معنا فى الحجرة نعمان رفعت بك وكيل الخارجية ، وقائد الحرس الجمهورى ، وهو ضابط يجمع فى شخصيته مظاهر الجندية التركية التى خلدتها المعارك والحروب الدائمة والأخطار المزمنة ، وكان شديداً فأطلقنا عليه « صاحب الضبط والربط » ، قال : « إنه حضر بأمر عال من فخامة رئيس الجمهورية ، وأن الأمر الصادر إليه يلزمه ألا يترك توحيد بك لحظة واحدة حتى يستعيد قواه ، وأن يتصل بالغازى مباشرة لأى حادث يطرأ . فشكره توحيد بك على هذه الالتفاتة ، وطلب إليه أن يرفع للرئيس شكر المفوضية وتقدير مصر قاطبة . ولما أتم الطبيب عمله وقام توحيد بك ، التفت إليه وأعلمه بأن واجبه كطبيب يحتم عليه أن ينصحه بأن يستريح هذه الليلة ولا يُنهك نفسه بعمل » . فأجابه بغير تردد : « كيف أقبل الراحة وقد دعوت الناس لحفلة مليكي؟ إن إخلاصى يملى علىّ أن أحضر الحفلة ، أما الألم فشئ هين يسهل علىّ احتماله فى سبيل قيامى بواجبى نحو بلادى ، وقد اعتادت هذه الرأس أن تتحمل وتحمل الكثير » . ثم التفت إلى قائد الحرس ، وإلى وكيل الخارجية ، وقد أبديا كلاهما ضرورة الرفق بصحته والعودة للراحة . فقال : « أبلغا الغازى والحكومة التركية أنى بخير والحمد لله ، وإنى لعاجز عن التعبير عن شكرى لهذا الاهتمام الفائق الذى لا أعتبره موجهاً لشخصى ، بل لمليكى وبلادى » . وترك المستشفى مستنداً على ذراعى الطبيب وقائد الحرس ، وركبنا سيارة أوصلتنا إلى منزله ، واستأذن وكيل الخارجية والقائد ، وبقى معنا الطبيب لا يتركه حتى بدّل ملابسه ولبس ثياب السهرة ووضع أوسمته ، واتجهنا إلى دار المفوضية المصرية ، وقد استعدت لحفلة الليلة كأن لم يحصل شىء ، وكأن التصادم أمر قد كان لأيام مضت ، ولم يظهر على توحيد بك غير رباط الجرح واليد .

وكان الوقت قد أزف لحفلة العشاء التى تبدأ فى الثامنة ، وأخذ المدعوون من علية القوم يحضرون ويأخذون أماكنهم ، وفى مقدمتهم رئيس الوزارة التركية عصمت باشا ، وهو الرئيس الحالى للجمهورية ، وقبيل انتهاء المأدبة أخذ المدعوون للسهرة يفدون ، وهم من كبار رجال الدولة والسلك السياسى بأكمله المكون من ثلاثين هيئة بين سفارة ومفوضية ، وقد توزعوا فى أركان الدار وحجراتها ، وقد بدت تتألق فى رونقها وحلتها .

وكان الجميع يهنئون بالعيد ، ويستفسرون عن صحة توحيد بك ، ويبدون إعجابهم بعزيمته ، وقالت قرينة وزير النرويج: « لا أقدر أن أطيل النظر إليه وهو على هذه الحالة ، فأرجو أن تنصحه ليعود إلى منزله فيستريح ، إذ أخشى أن ينفتح الجرح فى أى وقت فيسبب له نزيفاً » . فقلت لها : « كيف يحصل هذا وطبيب الغازى يلازمه ملازمة الظل لا يتركه لحظة واحدة ؟ ! »

وفى منتصف الليل تماماً ، والناس فى شغل بأنفسهم ، وهم جماعات متفرقة ، بعضهم يرقص على نغمات الموسيقى ، وبعضهم يلعب الورق ، والقصف عامر ، دخل الغازى فاستقبلته الفرقة بالنشيد الجمهورى ، ثم بنشيد مصر ، واتجه بخطوات ثابتة نحو القائم بالأعمال ، فعانقه على مرأى من الحاضرين ، وهنأه على رباطة جأشه وقال : إنه يحضر إلى بيت مصر كما يحضر إلى بيته ، فهو صاحب الدار ، وإن مجيئه إلى المفوضية هو تحية منه للشعب المصرى فى عيد مليكه المعظم ، فبلغ مصر ذلك ، كما أنه تقدير منى لشخصك . ثم اتجه إلى ركن صغير بإحدى الصالات فجلس ومعه توحيد بك ، ووزير الخارجية توفيق رشدى بك ، وانضم إليهم صاحب السمو الملكى الأمير زيد وزير العراق المفوض بأنقرة ، فأجلسه الغازى إلى شماله على نفس المقعد ، وجلس الكونت دى شامبران سفير فرنسا ، ودارت فى تلك الجلسة أحاديث تناولت الكثير من الشؤون ، ولم يأت الوقت بعد لإذاعتها . وفى الساعة الثالثة صباحاً طلب الغازى من توحيد بك أن يستريح وألح عليه فى ذلك وقال له : إننى معجب بموقفك وتصميمك ، وأفهم ما يمليه عليك الواجب ، ولكنى أنا « مصطفى كمال » سأنوب عنك فى الترحيب بضيوفك . ونزل توحيد بك على إشارته ، ولازمته حتى ركب إلى منزله . ولما رجعت من توديعه ، إذا بوكيل الخارجية يدعونى إلى الركن الجالس فيه الغازى ، وكان قد انضم إلى الجماعة وزير المجر ، وها أنا أعطى القارئ صورة من بعض ما دار من الحديث :

استؤنف الكلام بشأن المجر ، فذكر وزيرهم ما نزل بهم من الظلم وما حاق بهم من الاضطهاد ، وكأنه شعر بألم عميق ، أو أراد أن يستعطف الغازى على وطنه ، إذ ضرب مثلا لأنواع

الإرهاق التي يلاقيها ، فقال وقد اغرورقت عيناه : « لقد أصبح والدى تشيكوسلوفاكيا وصارت جدتى رومانية ليحافظا على أملاكنا ومزارعنا فى البقاع التى انتزعت من وطننا ، وهكذا تشتتت أسرتنا وأصبحت مجرباً وحدى . فنظر إليه الغازى محدقاً وقال : « إنما أنت رب عائلة ، ومواطن طيب القلب ، ولكنك بعيد عن أن تكون رجل سياسة . أنظر إلىّ تجدنى لست بصاحب عائلة ، ولم أشغل نفسى بطلب البنين ، وذلك لأكرس حياتى منذ نشأت لخدمة بلادى » . وكان الجنرال ناجى باشا ، وهو أستاذ الغازى فى الكلية الحربية ، قد انضم للجماعة فعقب على ذلك بقوله : « لك سبعة عشر مليوناً من الأولاد هم أبناؤك الترك » .

وهنا قال وزير المجر كلمة لم تعجب القارئ وهى : « إنك تستطيع أن تدفع العدوان عن بلادك ، لأنك فى الأناضول ، أما بلادى فهى بين الأعداء المحيطين بها من كل جانب » . فسأله الغازى مسترسلا : « إلى أى عنصر تنتسب ؟ » فأجاب بغير تردد : « إلى العنصر التركى كأهل الجرجيما » . فضحك الغازى وأجابه : « لا تنس أنكم ظللتم قروناً حتى نهاية الحرب الماضية (١٤ — ١٩١٨) كان كل رأس مالكم وفخركم اللذين تتقربون بهما إلى شعوب أوربا وحكوماتها وساستها هو أنكم أعداء الترك الألداء ، وإنكم كنتم أول من تحرر من تحت نيرهم ، فأنتم كما ترى تدفعون ثمن الكفارة غالياً الآن » .

ثم التفت إلى سفير فرنسا ، وقد دنا الكونت استرورج سكرتير السفارة الفرنسية من المجلس بإشارة من الغازى ، فقال لفخامته : قل له أن يحضر ورقاً وقلماً ، وأريد أن أملى عليه شيئاً . ولما أحضر الورق أملاه ما يأتى : « لا أستطيع بحال أن أقول للترك إن فرنسا صديقة لهم ، إذ كيف أصل لإقناعهم بذلك ؟ إن هذا لن يكون إلا بعمل ظاهر ، وهى لا تفعل شيئاً من ذلك ، حتى المعاهدة التى عقدناها أخيراً لم تصادق مجالسها النيابية عليها للآن » .

وانتقل الحديث إلى ذكر جنيف وتخفيض السلاح ومشروع اتفاق الدول الأربع العظمى : بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ، وهو المشروع الذى أطلق عليه اسم « الدركتوار الرباعى » إحياء لنظام المحالفة المقدسة بعد حروب « نابليون » . وهذا مشروع يبغضه الغازى ، فتحمس كل التحمس وقال : « ما معنى الدول العظمى؟ » وأشار إلى السفير أن يكلف استرورج بأن يكتب مرة أخرى ما سيمليه ، وأن ينقل ذلك إلى دولته فيما يلى : « إن فرنسا لن تكون لها سيطرة على تركيا ، وإن تركيا لن تذعن لشئ تقرره فرنسا مع تلك الدول ما دمت أنا على قيد الحياة ، ولو فرضنا أن الحكومة قبلت ذلك ووافقها المجلس الوطنى الكبير ، فإنى لن أقبل ذلك ، ولو أحوجنا الأمر لوجدتم الشعب التركى بأكمله ورائى يشد أزرى ، ويبذل أقصى جهده ، وإنه لجهد لو تعلمون عظيم ، وقد سبق أن برهن على ذلك مرة للعالم ، وإنى مستعد أن أقوده ثانية ليبرهن لكم مرة أخرى ! »

هذه صورة خاطفة لبعض ما كان يدور فى أحاديثه العديدة التى حرصت على جمعها وصيانتها توفراً منى على رغبتى يوماً فى نشرها ، وكنت كلما أتاحت لى الظروف لقياه ، وقفت أتأمل هذه القوة الدافعة المجسمة فيه ، وأعجب بسوقه للحديث ومجانبته الانزلاق وتوجيه المخاطب للناحية التى يرمى الوصول إليها ، فكنت أغبط نفسى على كل دقيقة أقضيها معه ، وكان يعرف ذلك عنى ، ويفهم روحى ، ويعلم أننى أعرف بالتفاصيل كل حادث مهم مر به فى حياته ، وإنى أداوم على قراءة خطابه التاريخى بالتركية وباللغات الأخرى . وفى أثناء جلوسى أمامه مر الخادم النوبى الذى يخدم توحيد بك ، وهو يلبس ملابس الحفلات بمصر ، وعلى رأسه الطربوش ، ليقوم ببعض الخدمة للجالسين ، ولما أتم عمله وتراجع صاح به الغازى بالعربية قائلا : تعال هون اخلع طربوشك فخلعه ، ثم قال البسه فلبسه وانصرف . وكنا على مقربة من حادث الطربوش المشهور الذى وقع فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ، إذ لم تمض على وقوعه خمسة شهور ، وهنا اتجه الحاضرون إلىّ ، وكانت وظيفتى ومركزى لا يسمحان لى بمواجهته بالخطاب ، فإذا هو يقول لى : متى تخلعون الطربوش ؟ وهنا وقفت متردداً كيف أجيب ، وأخيراً فتح الله علىّ بكلمة قلتها فى تلك الليلة هى : « يا فخامة الرئيس ، إن الطربوش غطاء الرأس عندنا ، كما كان يوماً ما عندكم ، وها نحن لا نزال فى الدور البدائى من كفاحنا وجهادنا فى سبيل تحريرنا وتحقيق مثلنا العليا التى تتمثل فى مواجهة الحضارة الحالية وأخذها والاستفادة منها ،

ألا ترى أن الطربوش رمز يذكرنا بعصر نعيش فيه لنخرج منه إلى عصر جديد ؟ وإنه عنصر هام يذكى روح العمل لدينا ؟ ويذكرنا كل يوم وكل ساعة بالواجب المحتم علينا وبالسعى فى خلاص البلاد ؟ ولا شك أنك لم تخلع القالباق أو الطربوش إلا حينما تخلصت بلادك من قيودها وانتصرت فى عراكها وكفاحها ، إننا فى اليوم الذى نتخلص فيه من قيودنا ونتغلب على العقبات التى أمامنا نفكر فى خلعه واستبداله ، ويكون ذلك بوحى إرادتنا وحدها ، ولكن قبل أن نصل إلى أهدافنا الكبرى ، وننقلها من عالم الخيال إلى عالم الحقائق ، لا توجد إرادة فى العالم تفرض علينا أو تجبرنا على رفعه ، ذلك لأنه يذكرنا كل يوم بعراكنا الدائم المستمر ، وبأن أمامنا واجباً نعمله وأعباء نحملها وعقبات نقتحمها ومصاعب نتغلب عليها » .

ولم يكن الغازى ينتظر ذلك ، فتلألأ وجهه وأدنانى منه ، وقال كلاماً كثيراً عن مبادئ الثورة الكمالية ويقظة الشعب التركى وآماله ، وهنا تحدث الزعيم الخالد عن أدوار حياته الأولى فى البلاد العربية ، والتفت إلى سمو الأمير زيد ووجه إليه عبارة رقيقة ، وتكلم عن عرش سوريا وما يقال بشأنه ، ثم عرض لحادث الطربوش المشهور ، وقال كلاماً لا تسمح الظروف لى بنشره الآن ، ثم قال : « كنت أقود الأتراك فى داخل حدودهم وأراضيهم ، وكنت أكتفى بذلك ، أما اليوم ، فسمعت صوتاً جديداً ، ونغمة حلوة ، جعلانى أشعر بأن هناك خارج حدودنا من يفكر مثل تفكيرى ، ومن يأخذ نفسه بالعمل الصالح لخدمة بلاده » . وكان الجمع قد ازداد حولنا ، إذ وصل الغازى إلى القمة فى أحاديثه ، فأخذ يعبر عن روحه وإيمانه ، وقد ارتسمت على وجهه عظمة الخالدين ، وازداد إشعاع العينين من قوته الدافعة المؤمنة ، وكان الفجر قد أخذ يبدو وراء الشفق والتلول التى تحيط بأنقرة ، وأمامه شباك بعرض الحائط ، وقد بدأت شمس يوم الإثنين ٢٧ مارس ١٩٣٣ تقدم علينا ، فنظر إلى العدد المحتشدين من الأتراك وممثلى الدول الأجنبية ، وحدق فى وجوههم واحداً واحداً ثم قال : « إن نهضة تركيا شاملة ، وهى ستعم ما حولها من الأمم ، إذ ليس بالتهويش والوعود تحيا الأمم ، بل بالإخلاص والعمل الصالح ، وإنى لألمس نهضة الشرق وشعوبه ، وأراها قادمة لا ريب فيها ، كما أرى فجر هذا اليوم وقدوم شمسه إلينا ... انظروا إلى ضوء الشفق يحمل إلينا الشمس من الشرق مطلع سراج الدنيا ، إن العالم ينتظر بعثاً جديداً ، وسيعود الشرق — كما بدا — قوياً عظيماً » ... ثم نظر يميناً وشمالا وقال : « إن الذى يتكلم هو مصطفى كمال ، لا رئيس الجمهورية التركية ، مصطفى كمال التركى : إننى أشعر بأن الأمم فى الشرق ستتخلص من نكباتها وويلاتها ، وإن أول ما تشكو منه هو الاستعمار ، فهذا لن يعيش ولن يبقى حينما تبدأ يقظتها ووعيها واتجاهها للحقائق بدل الأوهام والأحلام

« إن أكبر دعائم الاستعمار هم رجال السياسة المحترفين الذين تستعملهم الدول الأجنبية لأغراضها . لقد تأكدت مما رأيت فى بلد من البلاد — ولا داعى لذكر اسمه — أن تسعين فى المائة من المتصدين للمسائل العامة عملاء للدول الأجنبية ، يخدمون مصالحها على حساب أممهم » .

وكانت الشمس قد أشرقت ، فقال : « انظروا إلى طلوع الشمس ، إنه يمثل لنا نهضة الشرق وأممه ! »

وقام الغازى من مكانه ، وقد وضع يده بيدى ، وسرت معه إلى الباب الخارجى ومنه إلى سيارته ، حيث ركب ومعه ناجى باشا وقال : « إنه يذهب لتناول طعام الفطور لدى أستاذه الجنرال ناجى باشا » . وانتهت ليلة من ليالى مصر الخالدة بأنقرة !

* * *

كثر التحدث عن تلك الليلة ، وما دار فيها من أحاديث ، وعلق الكثيرون من أهل الرأى ورجال السياسة والممثلين الأجانب عليها ، وكان لها صدى فى الشرق والغرب ولدى الحكومة التركية والمفوضيات الأجنبية ، إلا فى مصر ، وهى التى قصدت بهذه الزيارة وأكرمت بها ، لم يكن لها أى أثر ولا صدى ولا حماس ، ولا ما يشبه الحماس فيها ، وسنعرض لهذا كله فى حديث لاحق .

أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

أين الأقـــلام ؟

للأستاذ علي الطنطاوي

نحن اليوم في معركة مع الاستعمار، قد اندلعت نارها، وطار في كل أرض من أرض الإسلام شرارها، فهل رأيت جيشاً في معركة يدع مدافعه فلا يطلقها، وينسى دباباته فلا يسيّرها، ويلقي بنادقه فلا يحملها؟ هذا ما نفعله نحن حين نهمل أقلامنا فلا نسخرها في هذا النضال، وإن من أمضى أسلحتنا وأنفذها وأبقاها على الزمان وأثبتها للغير، لهذه الأقلام ... فما لهذه الأقلام نائمة لا تفيق، جامدة لا تتحرك؟ وما لبعضها لا يزال يلهو ويلعب، كأنه مدفع العيد يتفجر بالبارود الكاذب وسط المعمعة المدلهمّة التي جُنّ فيها الموت؟!

***

إنها معركة الاستعمار: استعمار البلاد بالجيوش، والأسواق بالشركات، والرؤوس بالمذاهب، والقلوب بالشهوات، فجنود العدو تخطر على أرضنا، وشركاته تتحكم في أسواقنا، ومذاهبه الخبيثة تملأ رؤوسنا، وتقليده في إباحته وشهوته وسفوره وحسوره، وتكشفه في نسائه وفي أدبه يفسد قلوبنا ... فأين تلك الأقلام تنبه القوم النيام، وتطهر الرؤوس والقلوب، وتحمل نور الحق لتبدد به ظلمة الباطل؟!

أين تلك الأقلام تعرّف هذا الشعب بنفسه، وتتلو عليه أمجاد أمسه، وتذكره أنه لم يخلق ليذل ويخنع، وإنما خلق ليعز ويحكم، وأن الله ما برأه من طينة العبيد، بل سوّاه من جِذْم الصيد الأماجيد، وأنه أثبت من هؤلاء المستعمرين ... أصلا في الأرض، وأعلى فرعاً في السماء، وأكرم نفساً، وأشرف عنصراً، وأنقى جوهراً، وإنها إذا أفقرت الأيام الغنى، وأذلت العزيز، فإن الفلك دوار، والأيام دولاب، فلا يغتر الفقير بالغنى الحادث، ولا ييأسَ الغنيّ على اليسار الذاهب، فإن كل شيء يعود إلى أصله، وإن كل حال إلى زوال ... !

. أين الفوهرر الذي نطح النجم كبرياء؟ وأين الدوتشي؟ فاعتبروا يا فهاررة اليوم ... فما أنتم بأمنع من الموت، وما أنتم بأعصى على القدر، وإن لهذا الكون دياناً جباراً ما شاركه أحد كبرياءه إلا قصمه ... وما أنتم حتى تشاركوا الجبار كبرياءه؟!

***

وأين تلك الأقلام تفهم الشعب أن المستعمرين ما زهدوه في قرآنه، وصرفوه عن دينه، وشغلوه عن تاريخه، إلا ليسلبوه أحدَّ أسلحته، ويجردوه من أمتن أدراعه، حتى إذا قابلوه أعزل عارياً، هان عليهم اصطياده، وسهل استعباده، فكان إليهم قياده! وإنه آنَ لنا أن ننتبه لمكرهم بنا، وأن نفيق من غفلتنا، ولا نمشي إلى الهوان بأرجلنا، ونمكن عدونا منا بملكنا ... !

وأين تلك الأقلام تعلن للناس أن هذه القوانين الأجنبية في محاكمنا، إنما هي أثر من آثار الاستعمار الذي نحاربه، وأن لنا شرعاً هو أفضل من قانونهم، وديناً هو أحسن من نُظمهم، وأننا نستطيع أن نأخذ القانون المدني والجزائي من ديننا وفقهنا، وأن نحكم في محاكمنا بما أنزل ربنا، وأن من العار علينا أن نفتقر إلى قوانين عدونا ... وما قوانينه؟ إن كانت من فكره فلنا أفكار، وإن كانت من تجاربه فلنا تجارب، وإن كانت من دينه ... وأنّى؟ فما في الوجود دين تستمد منه القوانين كلها إلا الإسلام ... !

فهل رأيت غنياً مؤلّفاً (مليونيراً) أورثه أبوه صناديق الذهب، ثم يتكاسل عن القيام إليها، ومعالجة قفلها، ثم يذهب فـ (يشحد) ذليلا الملاليم والقروش من أكف أعدائه ليتبلغ بها؟

هذا مثالنا حين نترك ديننا ونأخذ قوانين المستعمرين!

***

أين تلك الأقلام تقول للناس: إن الإسلام جاء يكسر الأصنام وأنتم رجعتم تعبدون أصناماً من لحم ودم، تأكل الخبز والحلوى والذهب وورق النقد (البنكنوت) ... وتأكل كل شيء وتهضمه معدها ... أصناماً تسمونها «زعماء!» تجدون وتتعبون ليستريحوا هم، وتَشْقَون لينعموا، وتنخفضون ليرتفعوا، وتدفعون إليهم ما كسبتموه بأيديكم الخشنة من العمل، وأنتم تقبّلون أيديهم الناعمة من الكسل، وتمنحونهم كل نعمة ... ولا يمنحونكم شيئاً ... وإن من بقايا الاستعمار هذه الأحزاب التي لا تتقاتل إلا على أكل الحكم، وامتصاص دمكم وحكمكم!

وهذا الأسلوب الأحمق الذى يشترط فى معلم المدرسة الابتدائية وكاتب المحكمة الجزئية ، شروطاً فى نفسه ودرسه ، وامتحاناً وتجربة ، ولا يشترط فى الوزير شرطاً ، فكل من أراد الوزارة وسلك سبيلها نالها ، ومن نالها يوماً لصقت به (معاليها) إلى آخر أيامه ...

ستقولون : وماذا نعمل وهذه سنة التمدينين فى كل بلاد الله ؟ نعم هى سنة المستعمرين ، ولكن فى بلادهم هم علماء ، فلا تلقى وزيراً جاهلا ، وشعباً يقظاً ، وصحافة ساهرة ، وإن فيها انتخابات صحيحة ، وإدراكاً شعبياً ، أما الأحزاب ، ففى بلد واحد من بلادنا (كمصر مثلا) أكثر مما فيها كلها ، وهل فى أميركة إلا حزبان : الجمهوريون والديمقراطيون ؟ وهل فى انكلترا إلا ثلاثة : الأحرار والعمال والمحافظون ؟ فكم حزباً فى مصر يا أيها المصريون ؟

فإذا كرهتم الاجتهاد ، وأبيتم إلا أن تكونوا مقلدين ، فقلدوا فى المذهب كله ، ودعوا التلفيق !

***

وأين هذه الأقلام تقول للناس : إن ثكنات قصر النيل فى القاهرة ، ومطار المزة فى دمشق ، ومعسكر الحبانية فى العراق ، حصون العدو وقلاع المستعمر ما فى ذلك خلاف ، ولكن للاستعمار قلاعاً أخرى ، إن تكن أخفى فقد تكون أخطر ، وهذه القلاع هى بيوتنا التى انتشر فيها (التحرر ...) فى الشباب والشابات ، و (التجدد ...) فى الصلات بينهما ، فقلل الزواج وزهد فيه الشبان ، وكسد البنات ، ونشر الأمراض ، وشغل بالهزل عن الجد ، وبالسعى للشهوة عن العمل للوطن ... ولقد قلت إنها أخطر ، لأن ثكنات قصر النيل قتلت عشرين مصرياً فى عشرين سنة ، وهذه تقتل كل سنة مليوناً من أهل مصر ، كان يكون منهم العبقرى النابغ ، والقائد البارع ، والأديب الملهم ، والعامل النافع ، ويكون منهم حماة الحمى ، ودرع الوطن ، خسرناهم لانصراف الشباب عن الزواج وزهدهم فيه ، ولولا هذا التحرر ، وهذا التجدد . ولو عادت بنا الأيام كما كنا من خمسين سنة ، إذ لا تلقى شاباً فى العشرين إلا متزوجاً ، ولا فتاة فى الثامنة عشرة إلا ذات بعل ، لزادت مصر مليون إنسان فى كل سنة ، أفرأيتم كيف قتل استعمار البيوت هذا المليون ؟

***

أين تلك الأقلام تفضح أكبر خدعة مرت إلينا ، وترد أفظع كذبة جازت علينا ، وهى دعواهم أن من الخير لنا أن نأخذ المدنية الغربية بكل ما فيها ، وأن كل ما جاء من أوربة فهو خير ورشاد ، وكل ما بقى لدينا من الشرق فهو شر وفساد !

وهذا من أقبح ما خلفه فينا الاستعمار

فأين تلك الأقلام تدل الناس على مزايانا لنحتفظ بها ، وشرور الغرب لنتجنبها ، وتقيم لهم الميزان العادل ، وتحكم فيهم الحكم السديد ، فنرتفع عن أن نكون قردة مقلدين ، ونرجع عقلاء مميزين ، يعرفون ما يأخذون وما يدعون !

***

وبعد ، فهذى المعركة ، وها هم أولاء المسلمون فى كل بقاع الأرض يكتبون بدمائهم على جبين الزمان أروع قصائد المجد ، وأبلغ آيات البطولة والبذل . ها هم أولاء يردون بأيديهم وبأيمانهم وبحقهم الجيوش التى لم يستطع ردها هتلر بحديده وناره ... لا يرونها أكبر من أن تغلب ، ولا يرون نفوسهم أصغر من أن تغلب . ها هى ذى المعجزات تظهر كل يوم على أيدى أتباع محمد : فى ميدان الاسماعيلية ، وفى شوارع الأسكندرية ، وفى بلاد الشام ، وفى مدن فلسطين ، وفى الهند ، وفى جاوة ، وفى إيران ، فأين تلك الأقلام تدون خبرها وتخلد ذكرها ؟ !

أين الشعراء ، وأين ملاحمهم فيها ، وهناك شىء ينطق الجماد بالشعر ؟ أين القصصيون وأين ما وضعوا فيها من القصص ، وهناك قد جلس الزمان يقص من أفعال هذا الشعب أعجب الأقاصيص؟ أين من فى نفوسهم قرائح ، أفلا تفيض اليوم بالبينات هذى القرائح ؟ أين من بين أصابعهم أقلام ... ألا تلتهب اليوم بالحماس هذى الأقلام ؟ !

أين كتاب العربية وشعراؤها وبلغاؤها ؟ !

يا خجلتاه غداً من كتاب التاريخ إذا جاءوا يترجمون لأديب فيقولون : لقد رأى أعظم بطولة بدت من بشر ، وشاهد أجل الأحداث التى رآها الناس ، ثم لم يكتب فيها حرفاً ... لقد شغلته عنها شواغل الأيام ، ومباهج الأحلام ، وملذات الغرام !

(دمشق) **علي الطنطاوي**

ألدوس هكسلى

مؤرخ طبيعى للإنسانية

بقلم اسكندر هندرسون

مؤلف كتاب « تفسير لشخصية ألدوس هكسلى »



كان ألدوس هكسلى Aldous Huxley فى وقت ما لا أدريا وماديا ، أما الآن فهو يؤمن بمعتقدات مستمدة من الفلسفة الدينية الهندية وهو فى قصصه ومقالاته وقصائده يكشف عن شخصية شديدة التعقيد ، دقيقة على الفهم ، ذات ميول متضاربة لا توازن بينها إلا ذهن جبار مشغوف بالتأمل والتفكر .

فمنذ سبعة عشر عاما ، قال فى كتابه « دراسات صحيحة Proper Studies » (١٩٢٧) : لو ألزمت بتحديد موقفى لقلت إننى امرؤ مثقف يوجه اهتمامه الأكبر إلى دراسة العالم الخارج دون التأمل الباطنى ... وأنا أفهم التفسير المادى للحياة الباطنة .

ولكنه فى سنة ١٩٤٤ يقرر أن أركان عقيدته هى : « أن هناك لاهوتا ، أساسا ، براهما ، ضوءا مبينا ينير الفراغ ، هو القانون غير الظاهر الذى يكمن وراء كل المظاهر ؛ وأن الأساس حالّ فى الأشياء ومتجاوزلها فى وقت معا ؛ وأن فى مقدور الإنسان أن يحب الأساس الإلهى ، ويعرفه ، ويتحد معه وحدة فعل بعد وحدة قوة ؛ وأن البلوغ إلى هذه المعرفة الاتحادية باللاهوت هو القصد والهدف الأخير للوجود الإنسانى » .

ولقد كان هكسلى دائما يدرك العناصر المتضاربة فى شخصيته

وفى مجموعة مقالاته : « اعمل ما شئت Do what you will » (١٩٢٩) وضع خلاصة لفلسفة « عبادة الحياة life worship » أو « الافراط المتعدل balanced excess » ، بناها على الإيمان بمبدأ أساسى هو تعدد جوانب كل شخصية . قال : « إن عابد الحياة هو يقينى أحيانا ، وصوفى أحيانا أخرى ، لا أدرىّ ، ملىء بالسخرية ، ومؤمن فياض بالإيمان ... والخلاصة أنه يقبل كل نفس من نفوسه المتعددة ، حين تظهر فى عقله الظاهر ، ويعتبرها إذ ذاك نفسه الحقة فى تلك اللحظة . هو يقبل كل نفس وجميع النفوس — حتى الخبيثة ، حتى الوضيعة المعذبة ، حتى العابدة للموت والمسيحية بطبعها . هو سيقبل كلا منها وسيعيش فى كل منها عيشة مفرطة » .

إن شخصية ألدوس هكسلى المعقدة ، والقالب العلمى لذهنه ، وأسلوبه النثرى الجلى الساطع ، يمكن اعتبارها ميزات ومواهب موروثة ، فان من سلفه الذين حملوا إسم هكسلى أفرادا كانوا من جبابرة العقول فى القرن التاسع عشر بانكلترة .

ولد فى ٢٦ يوليه سنة ١٨٩٤ ، وكان الابن الثالث ليونارد هكسلى وجوليا آرنولد . أما أبوه ، الذى ولد فى سنة ١٨٦٠ ، فكان ابن توماس هنرى هكسلى العالم الذى بذل أعظم الجهد فى تقريب مذهب داروين من عقول عامة الشعب . وأما أمه فكانت ابنة أخ ماثيو آرنولد ، مؤلف « رستم وسهراب » وغيرها من القصائد الكثيرة ، ومؤلف « الثقافة والفوضوية » وغيره من كتب النقد الأدبى الرائع . وكانت أيضا حفيدة توماس آرنولد القسيس والناظر المشهور لمدرسة ركبى الذى أدخل إصلاحات كثيرة على نظام المدارس العامة الانكليزية .

كانت البيئة التى نشأ فيها ألدوس هكسلى بيئة تهذيب وثقافة كما كان أجداده رجال تهذيب وثقافة . عين أبوه أستاذا مساعدا لليونانية فى جامعة سنت آندروز ولما يتجاوز عمره الثالثة والعشرين ثم صار رئيسا لتحرير مجلة The Cornhill Magazine وهى من أبرز المجلات الانكليزية . وقد احتفظ بهذا المنصب سنوات كثيرات ، كما عين مستشارا أدبيا لشركة الطبع والنشر سميث والدر . وفى سنة ١٨٧٢ تزوجت خالته مارى أوغستا آرنولد بالناقد والمحرر توماس همفرى وارد ، وكانت من أبرز كاتبات الروايات فى عصرها . وروايتها « روبرت إلزمير Robetr Elsmere »

التى نشرت فى سنة ١٨٨٨ ، قد نالت الشهرة فى كل أنحاء أوربا وأمريكا .

وفى قصة « التاريخ المزلى لرتشارد جربنو » ، وهى من القصص الأولى لألدوس هكسلى ، إشارة إلى تلك الرواية المشهورة التى كتبتها خالته ، إذ يصف البطل بأنه « قد قرأ المجلدات الثلاثة لرواية روبرت إلزمير وابتلعها ابتلاعا وهو بعد فى الثامنة من عمره » . وقد استمرت المسز همفرى وارد تكتب سنوات كثيرات ، وظهرت روايتها الأخيرة فى سنة ١٩٢٠ ، وهى السنة التى توفيت فيها . وكان زوجها الناقد هو الذى خول ألدوس هكسلى فرصة نشر مقالاته النقدية الأولى ، إذ طبعت فى مجموعة منتخبات شعرية إنكليزية نشرهات . ه . وارد فى سنة ١٩١٨ .

هكذا ورث ألدوس هكسلى العلم عن أسرة والده والأدب عن أسرة والدته ، فليس عجيبا أن يصير أديبا ، ولا أن تتجلى الروح العلمية فى أدبه بصور شتى . بل إنه حين كان صبيا أراد أن يتخذ العلم مهنته ، مثل أخيه الأكبر جوليان ، العالم البيولوجى العظيم . ولكن عينيه أصيبتا بمرض حال بينه وبين عمله العلمى ثلاث سنوات . وتلك السنوات الثلاث أكسبته هذه النظرة المستقلة إلى الحياة التى تلاحظ فى الكثير من كتاباته .

تعلم ألدوس هكسلى فى إيتون ، ثم ذهب كأبيه إلى كلية باليول بأكسفورد . وقد أحب كلا المهدين . فهو يقول : « إن ذهنى من النوع الذى يحب التدريب المدرسى ويقبله قبولا تاما . فأنا تقاقى بولادتى ، ذو ميل إلى الأفكار وصدوف عن النشاط العملى ، ولذلك شعرت بالراحة والاطمئنان فى الظلال المدرسية » وقد أحب أكسفورد حبا خاصا إذ تركت له هناك حريته الكاملة فى أن يعمل كما يشاء ، وكان معنى ذلك أنه أقبل على قراءة كل شىء ، وفضل ذلك على مجرد تدوين الملاحظات أثناء سماع المحاضرات . فهو يقول « أما أنا فانى لم أستمع قط إلى أكثر من محاضرتين فى الأسبوع » .

أما فى البيت فقد نشىء على حب شعر وردزورث وفلسفته ، وآراء رسكن فى الجمال والفن . يقول ألدوس : « لما تقوضت أركان الكثير من العقائد الدينية المتزمتة ، سطر كثير من الأسرات الذكية ذات الفكر المتسامح يعتبر شعر وردزورث إنجيل ذلك النوع من الحلولية ، ذلك الاعتقاد المبهم بوجود عالم روحى ، الذى ملأ — إلى حد غير كاف — الفراغ الذى كانت تشغله العقائد القديمة . وحين كنا أطفالا ربينا على التقليد الوردزورثى ، وغرس فى قلوبنا الاعتقاد بأن جولة بين التلال يوم الأحد تعادل بكيفية ما الذهاب إلى الكنيسة » .

ومن قصتى هكسلى الأولين ، المليئتين بالتهكم والهزل ، Limbo سنة ١٩٢٠ ، و Mortal Coils سنة ١٩٢٢ ، ومن روايته الأولى Chrome Yellow سنة ١٩٢١ ، يتبين رد الفعل الذى قابل به جو الوقار الأخلاق الرفيع الذى فيه نشأ . فى شبابه كان بطبيعته الذهنية حذرا ، متشككا ، غير ميال إلى الغلو الأخلاقى . ولكنه تحت ظاهره المتهكم الساخر قد احتفظ دائما بمنصر جاد لا يقل وقارا ورصانة عن ماثيو آرنولد نفسه . وقد أخبرنى مرة قائلا : « فى قصصى المبكرة كنت أيضا أرد على الناحية المتزمتة التفيهقة من نفسى » .

وكانت أهم المؤثرات فى تطور أسلوبه المبكر كتابات الأدباء الفرنسيين فى آخر القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين ، وخاصة رمبو ، ولافورج ، وأناتول فرانس . وقد أخبرنى فى سنة ١٩٣٥ قائلا : « أظن أن لافورج ذو شأن للمراهق ، ولكنى حين قرأته من وقت قريب لم أشعر له باعجاب زائد . وأناتول فرانس ... لقد كنت فى وقت ما أظن أن تهكمه هو قمة الذكاء والبراعة » . وقد مال أيضا إلى كتابات ريمى دى جومون ، وخاصة بسبب اهتمام ريمى بالتاريخ الطبيعى ، وهو اهتمام ما انفك هكسلى يبديه ، وخاصة فى كتابه .Point Counter Point (سنة ١٩٢٨) .

وفى أكسفورد نظم هكسلى قدرا كبيرا من الشعر ، وهو دون كتاباته النثرية أهمية ، ولكنه مع ذلك هام إذ يلقى ضوءا على مزاجه ؛ لأنه يتجلى فيه شعور عاطفى خيالى ميال إلى المثل العليا ، منهمك فى الصراع بين العاطفة والعقل ، ذلك الصراع الذى هو السبب فى انقسام النفس ، والذى تطور فيما بعد فى كتابيه Point Counter Point و Brave New world (سنة ١٩٣٢) . والقصائد المبكرة تنم أيضا عن رجل حيى عزوف عن الاختلاط بغيره من الرجال والنساء ، يفرح إذ ينجو

(البقية على صفحة ٣٨٦)

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٧ —



في هورتون :

على مسافة سبعة عشر ميلا من لندن كانت تقع قرية هورتون الصغيرة الجميلة ، حيث اشترى الوثق جون ملتن بعض الأرض وأقام بيتاً ليأوى إليه إذا اعتزل العمل وجنح للراحة .

وكانت هورتون قرية هادئة تحيط بهـا المروج والمراعى ، والحقول بين ضيقة محصورة وواسعة منبسطة ، والغابات والخمائل عن يمين وشمال ، تتراءى بينها على بعد أبراج وندسور ، تلك القلعة العالية القديمة ، فيتألف من مجموعها مجتلى ساحر جميل تستريح النفس لمرآه ، ويسعه البصر من أوله إلى منتهاه .

واتخذ ملتن طريقه إلى هورتون ، تاركا وراء ظهره الكلية ومن فيها من ثقلاء وظرفاء ، ومن أولى الغلظة والعنت من الرفاء ، ومن المتبجحين بالعلم من الأغبياء ، مبتعداً عن دروسها ومناظراتها ، وقد نفض قدميه من ثراها ويديه من كتبها .

وأوى الفتى إلى هورتون لا ليقضى بين ربوعها أياماً معدودات ثم يعود إلى لندن ، ولكن ليقيم فيها سنين تطول أو تقصر حسبما يشاء ، فهو لا يتقيد في مقامه بشيء !

وما ذا عسى أن يصنع ملتن في تلك القرية ؟ وهل درس ما درس في الجامعة وحصل على درجتين من درجاتها ليركن إلى البطالة والدعة في ظلال الريف ؟ ليس هذا مما ألفه الناس ، ولا هو مما يجرى على سنن العقل ، وليس يقره عليه أحد ؛ بذلك كان يحدث الموثق نفسه ويحدثه أصحابه ، ويتناقله بينهم من يعرفونه من الناس !

ولكن الشاعر لا يأبه لما يقولون ، فقد عقد العزم بادئ الرأى على رفض أية وظيفة في الحكومة ، كما رفض الالتحاق بالكنيسة ، وإن كان قد درس اللاهوت ؛ وليس يعنيه أن يبين لهم وجهة نظره ، فأكبر الظن أنهم لن يقروه عليها ؛ وهل فيهم من يقره على إقامته في الريف ، حيث تكون له عزلة يستريح فيها من ضجيج المدينة ولهوها وزحمتها ليتفرغ للقراءة والدرس ، فيستدرك ما فوتت عليه قراءته الكلية من كتب ، ويستكمل ثقافته في الأغريقية واللاتينية ، فهما عدته فيما يتهيأ له من رسالة ؟ وهو إنما يزداد شعوراً بأنه يتهيأ لرسالة ، وأن عليه أن يستزيد من المعرفة والحكمة ليكون أهلا لما يستشرف له .

ذلك كان مأربه من إقامته في الريف ، فهمه في الحياة أبعد من كسب القوت وأجل من ذلك شأناً ، وما يرى العلم والحكمة بل والفضيلة نفسها إلا وسائل يتوسل بها إلى ما يبتغى من غاية ؛ وإنه لواثق أن الناس ينكرون عليه ذلك ، وأنهم يعدونه حلماً من الحلم يوسوس به الشباب في صدر شاعر سحره عن نفسه ، وأذهله عن الصواب حب الشعر ... وما ذا عسى أن يقولوا غير ذلك وليس فيهم من يصدق أن الشعر مطلب ترصد له الحياة ، وغاية يحتقر في سبيلها المال والجاه !

وكان أبوه يطمع أن يلتحق الفتى بالكنيسة ، ولكنه منذ صغره لا يحب أن يحمله على ما لا يريد ، فحسبه أن يمنى بذلك نفسه ، على أنه كان خليقاً أن يدرك بعد أمنيته عن التحقيق ،

فهو أعلم الناس بابنه ، وأخبرهم بنوازعه وآرائه .

كانت صفات ملتن تحول بينه وبين الكنيسة ، فإباؤه ونزوعه إلى الحرية لا يسمحان أن يتقيد بقيد ، ورغبته فى التفرغ لقراءته والهيولرسالته يتمدان به عن أن يشغل نفسه بغيرها ؛ وإنه فضلا عن ذلك ليحس فى نفسه الكراهة لرجال الدين ، ويشمئز قلبه إذا ذكرت عقيدة روما الكاثوليكية ، فهى عنده علة التعصب وأصل تحكم القساوسة واستبدادهم وجمودهم ؛ وهو فتى يعشق الحرية الفكرية وحرية العمل ، ولا يستطيع أن يتصور كيف تخلو الحياة منهما وتسمى مع ذلك « حياة » ! ولا نجد ما يوضح رأيه فى رفض الالتحاق بالكنيسة خيراً مما كتبه بعد ذلك ببضع سنين عن الكنيسة وأشار فيه إلى ما نحن بصدده قال : « أما عن الكنيسة التى أزمع إعدادى لخدمتها منذ طفولتى حتى بلغت مرحلة من مراحل نضجى ، فإنى مذ رأيت مبلغ ما دخل فيها من طغيان ، وأن من يلتحق بها يجب أن يكون عبداً ، وأن يقسم على ذلك قسما ، وجدت خيراً لى أن أفضل الصمت الذى ليس فيه ما يعاب على الوظيفة الكلامية المقدسة التى تشترى بالقسم سلفاً ، وبالعبودية ، وتبدأ بهما ! »

ولم يكن ملتن حتى ذلك اليوم بيوريتانى المذهب ، وإن كانت عفته وطهره وترفعه عن الدنايا تمثل خلق البيوريتانية ، وإن لم يقصد ؛ أما عن مذهبه الدينى ، فكان حتى ذلك الوقت يتبع الكنيسة الإنجليزية الحرة ، دون أن يعنى بتحديد ما فيما يتعلق بقواعد مذهبها ؛ ولقد كان يكره من هذه الكنيسة ما كان يكرهه من كنيسة روما من التعصب لرأيها والرقابة على المذاهب الأخرى وعلى المطبوعات ؛ وأبغضت نفسه طريقة كبير أساقفتها (لود) فى تعقبه مخالفيه والتجسس عليهم ورفع أسمائهم إلى الملك ؛ وبعد ملتن فى هذا الاتجاه كذلك أقرب إلى البيوريتانية فى ناحية من نواحيها ، وإن لم يرم إلى ذلك .

وإن شخصاً هذه نظرته إلى الكنيسة ورجالها لخليق ألا يقبل مركزاً دينياً مهما منى أبوه نفسه أن يقبل ، ومهما ألح عليه أصحابه أن يفعل !

أما القانون ، وقد كانت لحرفة أبيه صلة به ، فقد فكر فيه عقب تركه الكلية ، ولكنه ما لبث أن انصرف عنه ؛ وأما الوظيفة الحكومية ، فلم تكن أحب إلى نفسه من الوظيفة الكنسية ، وما ترتاح نفسه فى الواقع ، ولا يتجه قلبه وعقله إلا إلى الشعر ، فلتكن له من عزلته فى هورتون فرصة أجمل بها وأعظم من فرصة يتهيأ فيها لما يريد !

وعكف الفتى على محرابه فى هورتون ، فما يبرحها إلى لندن إلا لماماً ليشترى بعض الكتب ، أو يستمع إلى الموسيقى ، أو يستعين بمن يفهمه بعض مسائل الرياضة ، وألف حياة الريف واسترْوح نسيمه ، واستغرقت فى هدوئه نفسه ، واستمتع بصفائه حسه ، وتقلب فى مشاهده بصره فى بكره وآصاله وفى متوع نهاره ، وإذا كان غيره من الشعراء قد تغنى بحياة الريف ولم يره ، فلسوف يحيا ابن المدينة حياة الريف حقبة من عمره ، ثم يمسها مسة العبقرية فيغنيها ويصور مشاهدها ، ويضيف بذلك إلى أدب لغته وفنها ما تباهى به وتعتز !

كان يقضى كثيراً من ساعات نهاره بين كتبه ، وكان يقوم الليل كدأبه منذ سن العاشرة ، وقد قوى جلده على القراءة واشتد صبره ، ويعجب القيمون فى القرية من ذوى الثقافة من هذا الشاب الذى تخرج فى الجامعة ، ولا يزال يكب على الكتب ليله ونهاره كأنما هو مقبل على امتحان !

أما أهل القرية فإنهم لم يألفوا أن يقيم بينهم إقامة متصلة شاب من هذا الطراز ؛ وقد ظنوا أول الأمر أنه لاغب يستجم ، أو زائر لن يلبث حتى يبرح القرية إلى حيث يكون مقام أمثاله فى المدينة ؛ وكانت ترمقه عيون فتيان القرية وصباياها فى إعجاب ومحبة ؛ فهم حيال شاب عليه فوق رونق الشباب وغضارته روعة الجمال وسيماء الوقار والاحتشام ، وإنهم ليحسون فى صوته عذوبة الموسيقى ، ويرون فى محياه إمارات النبل والأريحية والكرم ؛ وما يطمع القرويات منه فى أكثر من أن يرينه ويراهن ، وإن كان له فى كل قلب محبة ، وما عسى أن تنتظر صبايا القرية فوق ذلك من هذا الشاب الذى يتهامسن بأنه تخرج فى الجامعة وأنه من ذوى المحتد ؟ على أنه فضلا عن ذلك كان فى شغل عنهن بعرائس شعره !

وإنه لأشد بالطبيعة ولوعا ، يقلب فى مشاهدها بصره ، ولكم يرى فى مجالى القرية مما يشرح صدره ويهز قلبه ؛ وكانت تعجبه الوجوه القرويات الوضاء لما توحيه سذاجتها من طهر ؛

كما كان يطرب لأغانى الرعاة ويحس ما فيها من المعانى والأخيلة والصور القروية ، التى يراها الآن تتصل بنفسه صلة قوية بتأثير بيئته الجديدة ؛ وتبعث تلك الأغانى ما كمن فى ذاكرته من أشعار أوفيد وألحان سبنسر مما يتصل بالحياة القروية فيرجع إليها ويعيد فى هذا الجو قراءتها فيستشعر من جمالها ويستبين من معانيها أكثر مما اتفق له من قبل ؛ وهكذا يعيش عيشة الريف ويقرأ أدب الريف ، فيكون لذلك أثره العميق فى خياله وحسه ، ولا يلبث أن تتضح صبغته فى فنه !

ولكن الموثق الشيخ وقد ركن إلى الراحة فى القرية لا يزال يأمل أن يراجع ابنه نفسه فيرضى بوظيفة من الوظائف ، فأنه ما يرى حياته هذه إلا ضربا من البطالة لا يسيغها عقله ولا يحبها لابنه ، ويدأب الرجل على الشكوى إلى جيرانه ويصل نبأ شكواه إلى ابنه فتكدر خاطره حينا ، لأنه يكره أن يغضب أباه ويكره فى الوقت نفسه أن ينصرف عما يتهيأ له من رسالة تهجس بها نفسه.

ويرد الفتى على أبيه بقصيدة لاتينية جميلة فيتوسل إليه أن يدعه فيما هو فيه ، ويرجو منه ألا يحتقر الشعر ويتساءل كيف يدهش أبوه وهو الموسيقى النابه من أن يكون ابنه شاعراً ؟ لقد قسم أبولو إله الموسيقى والشعر موهبته بين الأب وابنه ؛ والموسيقى والشعر صنوان ، والشعر أقوى مواهب الانسان دلالة على قداسة عنصره ؛ وإنما يتظاهر الأب لحسب بأنه يكره الشعر . ويحتقر الشاعر فى قصيدته الثراء والمادة مما يدل على أن أباه قد أشار إلى رغبته فى أن يعمل على كسبهما ويستطرد موجها الخطاب إلى أبيه فيقول : « يا أبت لقد عودتنى منذ الصغر أن أطلب المعرفة من أجل المعرفة فكيف تطلب إلىّ أن أحفل بالمال ، وأنت دون الناس جميعاً من لا يخلق ذلك به . يا أبت إن الوالد الذى لا يقتصر على أن يعلم ابنه اللاتينية فيعلمه معها الأغريقية والعبرية والفرنسية والطليانية والفلك وعلوم الطبيعة ، لا يسأله أن يجعل كسب المال غرضه من الحياة . يا أبت إنى اخترت ماهو خير بذلك وكأن بوحيك ما اخترت . وإنى أعلم أنك تقرذلك بقلبك وتشاطرنى الرأى فيه . وعلى هذا فما دمت أيها الوالد العزيز لا أستطيع أن أقابل جميلك بمثله ، فانى أرجو أن تكتفى منى بالاعتراف به وبيقائه أبدا فى ذاكرتى ؛ وإذا كان لأشعارى الفنية أن تتطاول إلى الأمل فى الخلود ، فسوف يكون لى من اسمك موضع لشعرى » .

وأكبر الظن أنه قد أصلح بهذه القصيدة ما بينه وبين أبيه ، فلم يعد أبوه يشكو من إقامته فى هورتون ، ولعل الرجل إنما صالح نفسه على هذا الوضع إذ لم يجد لشكاياته من جدوى ، ولم يهتد فى إقناع ابنه إلى وسيلة .

وظفر ملتن بالهدوء فى عزلته الريفية الجميلة ، واتفق له جو شعرى ساحر ، ندر أن اتفق مثله لغيره من الشعراء فى مستهل عهدهم بالشعر ، فما نعلم منهم إلا من لقى أول أمره عنتا وضيقا كثيرين ، وإنهم ليبتلون بالعذاب من الحياة ومن أنفسهم ، وما كان لينعم ملتن بما نعم به لولا زكانة أبيه وسماحة طبعه وإدراكه قيمة الفن وإعانه به .

ولكن عبثا آخر يهبط على الشاعر فى عزلته من صاحب لم يعرف اسمه ، فقد عثر فيما بعد بين أوراق ملتن فى تلك الحقبة على ورقتين بهما سطور من رسالة كان يرد بها على كتاب صاحبه ، وقد جاء فيه أنه لا يرضى للتن أن يقضى سنى عمره حالما فى عزلته شأن أنديميون مع القمر بينما يمضى الزمن مسرعا . ورد ملتن بأنه يقضى أرب نفسه من الثقافة والمعرفة ليكون أرفع مما هو قدرا ، ولولا أنه يؤمن بهذا الذى يأخذ نفسه به فى غير رفق لما وقف مصمما فى وجه كثير من غرور الحياة كالطموح إلى المناصب والرغبة فى جمع المال ، والميل إلى البناء بزوجة وتكوين أسرة ، والإقامة فى مسكن خاص . ويرسل ملتن إلى صاحبه تلك القصيدة التى نظمها وهو فى الجامعة واستغل فيها ثمار جهوده ليدرأ بها عن نفسه تهمة التبطل والخمول .

وأقبل ملتن على القراءة إقبالا عظيما ؛ وكان أكثر همه منصرفا إلى الشعر فى أشهر آداب الأمم ، وعلى الأخص الأغريق والرومان ، واطلع إلى جانب ذلك على الأدب الفرنسى والأدب الإيطالى ، وقرأ الفلسفة القديمة وبخاصة أفلاطون ، وفلسفة العصور الوسطى كما قرأ التاريخ يستخرج منه الحكمة والعبرة ؛ وعنى بعصر شكسبير عنايته بعصر بركليس ، فكان أكثر وقته مخصصا لهما وأحب هوميروس وفرجيل وأوفيدودانتى حبا لا يضارعه إلا حبه لشكسبير وسبنسر ، وكان ولعه عظيما بما استحدث فى العصر

الألنزابيثى من صور البيان ، وما تولد فيه من مشرق اللفظ وبديعه ، وما افتنه المفتنون أثناءه من أساليب الوصف والغناء ؛ وأعانه على استيعاب ذلك سليقة فنية خالصة ، وروح إلى الفن وجماله متعطشة ، وعبقرية طامحة توحى إليـه أن يجرى فى مضمار هؤلاء المباقرة الأفذاذ وألا يتخلف عنهم فى شيء .

أما عن أدب عصره فالأرجح أنه قليلا ما كان يتناول بعض آثار ذلك العصر ، لأنه قليل الإشارة إليها فيما كتب قليل التأثر بها ، ولعل مرد ذلك إلى أنه حصر ثقته فى الروائع السالفة من أدب العالم ، ولم يجد ما يكافئها إلا آثار شكسبير وأفذاذ عصره .

ولم يك يقرأ ملتن قراءة عجلان لا يقع على مطلب حتى يطير عنه إلى غيره ، وإنما كان يقرأ قراءة المتثبت المتقصى ، الذى يعمل فكره ويقدح ذهنه فى غير ملل أو نصب ؛ يتـكىء على نفسه حتى ينفذ إلى أعماق ما يقرأ ، ولن يبرح ينشره ويطويه ويقلبه على أوجه الرأى جميعا حتى يطمئن إليه ، ويقضى فى أمره بالقبول أو بالرفض . ولقد عثر سنة ١٨٧٤ على كراسة من مخلفات ملتن بها ملاحظات واقتباسات من نحو ثمانين مؤلفا دونها أثناء قراءته ومنها يقف المرء على مثال لـكدحه وصبره على عناء الدرس .

على هذا النحو قضى ملتن ست سنوات فى هورتون ؛ وما نظن أن شاعرا قبله أو بعده اتسع أفق ثقافته أكثر مما اتسع أفقه ، وما نظن أن أحدا من الناس شاعرا كان أو غير شاعر قد أعد نفسه لما يريد من أمر بما هو أقوى مما أعد به هذا الفتى للشعر نفسه

وكان يزور المدينة أحيانا فلا تغريه حيـاتها عما وطن عليه النفس من الجد ، وأقصى ما كان يقضيه فيها إذا حل بها بضعة أسابيع ، ولـكن ذلك كان نادرا فان معظم إقاماته بهـا كانت لا تعدو بضعة أيام ؛ وكان فى المـدينة يسعى إلى حيث يستمع الموسيقى ، كما كان يغشى المسارح ويزور علية القـوم ، ويمتع ناظريه بمـا يرى من جمال الحياة ، ولـكنه يملك زمام نفسه ، ويسيطر عليها سيطرة قوية تامة قل أن توافى مثلها لغيره فى سن كسنه ، فاذا قضى أرب مشاعره من الجمال ، وأرب جسده من الراحة ، واشترى ما تتطلب دراسته من كتب عاد إلى هورتون فأقبل على أوراقه وكتبه .

(يتبع) **الخفيف**

ألدوس هكسلي

(بقية المنشور على صفحة ٣٨٢)

من حقائق الصراع الانسـانى إلى عزلة عالم الأفـكار المبهمة . وأبحاثه الحاضرة فى التصوف والفلسفة الدينية تمثل عودة إلى تفضيله المتأصل هذا للحياة الباطنة ، هذا التفضيل الذى ظل كينا زمنا ما إذا حكمنا بكتاباته اللاأدرية التى نشرها فى العقد الثالث من القرن العشرين ، وهو الزمن الذى تصادف أن كان زمن مادية وكلبية عامة فى إنـكلترة .

وقد ظل هكسلى عدة سنوات تحت التأثير الشخصى الشديد للروائى د . هـ . لورنس ، مؤلف Sons and Lovers وغيرها من الروايات الفذة . وقد تقابلا أول مرة فى سنة ١٩١٥ ، ولـكنهما لم يكثرا من رؤية أحدهما الآخر حتى السنوات من ١٩٢٦ إلى سنة وفاة لورنس . وقد كتب هكسلى فى سنة ١٩٢٧ قائلا : « إن لورنس من الأفراد القلائل الذين أشعر نحوهم بتقدير وإعجاب حقيق . فالأشخاص البارزون الآخرون الذين قابلتهم أشعر بأنى على أية حال أنتمى إلى نفس الجنس الذى ينتمون إليه . أما هذا الرجل فان به شيئا مختلفا ، وهو شيء أسمى فى النوع لا فى القدر » .

وفى سنة ١٩١٩ تزوج هكسلى بماريا نايز ، وهى بلجيكية ؛ وله ابن واحد . وقد قضى قسما كبيرا من حياته خارج إنـكلترة ؛ عاش فى فرنسا وإيطاليا وقام بأسفار واسعة فى الهند وبورما (التى كتب عنها وصفا ممتعا فى Jesting Pilate سنة ١٩٢٦) ، وفى المكسيك وغواتمالا وهندوراس وجزائر الهند الغربية (اقرأ كتابه Beyond the Moxique Bay سنة ١٩٣٤) . وهو منذ قبيل الحرب التى وضعت اليوم أوزارها يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة فى كليفورنيا .

وهكسلى فى مظهره إنـكليزى صميم ، فهو طويل القامة رمادى العين ، وشعره الـكثيف مرتب إلى الوراء من الجبهة . وهو ذو أدب جذاب ساحر . والمرء فى حضرته يلاحظ أولا صوته الجميل ويديه الطويلتين اللينتين ، وهو مشغوف بعقدهما حول ركبته حين يجلس ويتحدث . وبين آن وآخر يكتسى فمه بابتسامة هادئة تهكمية ، ولـكنها فى العادة ذات مسحة حزينة .

(عن مجلة الأدب والفن الانجليزية) **اسكندر هندرسون**

مقابلات بين أقوال جحا

وأقوال الشعراء والكتاب

للأستاذ كامل كيلاني

١ – الأسلوب الجحوي

لقد كان الأسلوب الجحوى – ولا يزال – مثالا رائعاً يفيض من إشراقه ومرحه على حقائق الحياة المرة فيكسوها من ألوانه الزاهية جدة وإشراقا .

والأسلوب الجُحَوِىّ الباسم : يكاد يقابل الأسلوب العلائى العابس . حتى ليبلغ جحا – أحيانا – فى سَبْر أغوار الحياة بسخريته المرحة الباسمة ما يبلغه المعرى بسخريته العابسة القاتمة .

وقد عرضت للموازنة بينهما فى غير هذا المقام ، فلا نجتزئ بهذه اللمحة العابرة الآن .

وبحسبنا أن نعرض على القارئ أمثلة قليلة على ما نقول :

٢ – تقسيم الأرزاق

فنحن إذا استمعنا إلى صرخة « ابن الرومى » وحيرته فى تقسيم الأرزاق ، ومافيها من تفاوت يحار فى تعليله اللُّب وينقطع منه نياط القلب حين يقول :

« لا تعجبن لرزوقٍ أخى هوجٍ حظا تخطى أصيل الرأى طرافا
نخالق الناس أعراء بلا وبر كاسى البهائم أوباراً وأصوافا »

أو يقول :

« إن للحظ كيمياء إذا ما مسّ كلبــاً أحاله إنسانا
يفعل الله ما يشـاء كما شا ء متى شـاء كائنا ما كانا »

أو أصغينا إلى « ابن الراوندى » ونستعيذ بالله من جرأته وتنطسه فى إلحاده وكفره حين قال :

« قسمت بين الورى حظوظهم قسمة سكران بيّن الغلط
لو قسم الرزق هـكذا رجل قلنا له : قد جننت فانعط »

إلى آخر ما يزخر به غلاة الساخطين الناقين من أساليب تكاد لفرط عنفها تلتهب التهابا ، وتكاد لغليانها تقذف بالحمم ، وترمى بشواظ من نيران الفكر ، ويكاد إهاب قائلها يتفطر من النيظ والنقمة .

ثم رُحنا نستمع إلى جحا لنتعرف كيف يعبر عن هذه المعانى الحزينة بأسلوبه الباسم الذى تنطوى فى ابتسامته أعنف معانى المرارة والجد ، رأينا العجب العاجب :

رأينا فيلسوفنا الساخر يحتكم إليه أربعةٌ من عارفيه ليقسم بينهم زكيبة مملوءة بلحاً .

فماذا يصنع ليعبر بأسلوبه المرح عن تلك المعانى الملتهبة التى عرض لها أعلام الساخطين على توزيع الأرزاق ؟

يقبل عليهم متباهلا ويسألهم متغابياً :

« أىّ قسمة تريدون ؟ قسمتى أم قسمةَ الله ؟ » .

فيجيبونه على الفور : « بل قسمةَ الله يا جحا » .

فيعطى أحدهم بلحات خمساً أو ستاً .

ويعطى الثانى حُفنتين أو ثلاثا .

ثم يعطى الثالث كل ما فى الغرارة من بلح .

ثم يحرم الرابع فلا يعطيه شيئاً . ويتركه يضرب كفاً على كف من فرط الحيرة والدهش .

فإذا سألوه : « أىّ قسمة هذه يا جحا ؟ »

أجاب فى تغافل الساخر العميق :

« أليست هذه قسمة الله ؟ أليس يعطى واحداً دراهم معدودة ، ويعطى الثانى قليلا من الدنانير ، ويعطى الثالث من خزائن الأرض وكنوزها ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة . ثم يترك الرابع فلا يعطيه شيئاً » .

أليس فى هذا لون من التعبير الجحوى الباسم المرح يترجم عن قول من أسلفنا من كبار الساخطين ؟

أليس فى هذا لون من قول المعرى :

« كذلك مجرى الرزق : وادٍ به ندى
ووادٍ به فيض ، وآخر ذو جَفْر »

وقوله :

« لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير معرًّى أو أمير مدوّج
وقد يرزق المجدود أقوات أمة ويحرم قوتاً واحداً وهو أحوج »

وقول الآخر :

« كان يحيي إهالكا من ظمأ ... فضل ما أوبق ميتا من غرق »

أو قول الحلاج :

« كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا »

إلى آخر ما قاله المبدعون الساخطون .

٣ — الملح العذاب

وإلى القارىء معنى ثانيا :

« يقول « ابن الرومي » :

« وما اللجج الملاح بمرويات ... وتلقى الري في النطف العذاب »

فكيف يعبر جحا بأسلوبه المرح عن هذا المعنى الجاد :

يخبرنا الرواة أنه كان يستحم ذات يوم في البحر ، فلما اشتد به العطش جرع منه جرعة ليروى بها ظمأه ، فزاده الماء الملح عطشاً على عطش ، وأحس كأن معدته تلتهب .

فأسرع إلى نهر قريب منه فشرب منه نطفاً عذابا ، فارتوى وهدأت ثائرة العطش ، فأسرع إلى وعاء فملأه من النهر ثم صبه في البحر قائلا في ثورة الغضب :

« قبح الله غرورك أيها البحر ، فما أدرى فيم كبرياؤك وصلفك ؟ وما أدرى والله كيف يسمى ماؤك الأجاج ماء ؟ إليك أيها المتعجرف هدية أحضرتها لك من الماء لترى حقيقة الماء الجدير بهذا الإسم » .

٤ — فائدة المصائب

وإذا قال « ابن الرومي » :

« ومحال أن يسعد السعداء ... الدهر إلا بشقوة الأشقياء »

وقال المتنبي :

« بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد »

وقال أبو العلاء :

« غنى زيد يكون لفقر عمرو ... وأحكام الحوادث لا يقسنه

وجزم — في الحقيقة — مثل جمز ... ولكن الحروف به عكسنه »

وقال :

« وسخط الظباء بما نالها ... تولد منه رضا الحابل »

فكيف يعبر صاحبنا عن هذا المعنى بأسلوبه الجحوي الرائع :

يخبرنا الرواة أن جحا سافر — ذات مرة — لزيارة بنتيه ، وكان زوج أولاهما زارعا وزوج الأخرى فخارياً : يصنع الفخار ويبيعه .

فعرّج على الأولى يسألها : كيف أنت ؟

فأجابته : بخير — يا أبتاه — إذا أغاثنا الله في هذا العام بما نأمله من الغيث . فادع لنا الله سبحانه أن ينزل علينا أمطاراً غزيرة تحيي موات أرضنا ، وتجلب لنا مانرجوه من رخاء وهناء .

ثم عرّج على الأخرى ، ولما سألها عن حالها أجابته :

نحن بخير — يا أبتاه — إذا انقطع الغيث عنا في هذا العام . فادع لنا الله أن يكف عنا المطر حتى ينجو من البوار والتلف ما عندنا من الآنية والتحف التي جهدنا في صنعها من الفخار والخزف .

فخرج صاحبنا وهو لا يدري بأي الدعوتين يبتهل إلى الله ؟ فمصيبة هذه فائدة تلك . واستجابة إحدى الدعوتين — كما ترى — شقاء إحدى بنتيه وهناء الأخرى ، ولا مناص من ذلك على أي الحالين ؟

وفي هذه القصة تعبير رائع عن قول المتنبي الذي أسلفناه :

« بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد »

ثم يخبرنا الرواة أيضاً : أن لصاً سرق منه عشرين دينارا . فذهب جحا إلى المسجد ضارعا إلى الله أن يعيدها إليه . وأراد الله سبحانه أن يلهم تاجراً من أهل القرية كادت العواصف أن تغرق سفينته أن ينذر لذلكم الرجل الصالح عشرين ديناراً إذا كتب الله السلامة لمركبه .

فلما ظفر التاجر بالسلامة ، وفى لصاحبنا بنذره بعد أن قص عليه قصته .

فأطرق جحا برأسه إلى الأرض ثم قال بعد تأمل عميق :

« تباركت يارب في علاك : لو أنني سلفت أحداً غيرك هذا المبلغ لأعاده في هدوء ، دون أن يخطر على باله أن يزعج أحداً ويعرض حياته للتلف ، ليرد مبلغي إليّ »

وهو — كما ترى — تعبير جحوي بارع ينطوي — في

فكاهته — على أقصى الجد المرير . وفى هذا يقول فى بعض خواطره :

وهكذا ترك لى « أبو مرة ظالم بن الحارث » زاده كله ، فرحت آكل من طعامه هنيئاً مريئاً بعد أن هيأت لى كوارثه ونكباته ، ما لم تهيئه لى مباهجه ومسراته .

إلى أن يقول : وكم سعد سعيد بشقوة شقى ، وللقدر تصريف خفى . وغرق مركب بمن فيه ، ولم ينج أحد من راكبيه . فهلك السفْر والربان ، وراحوا زاداً للسمك والحيتان .

ثم هذا كله فكان ماذا ؟

قامت النادب فى ديار الغرقى والناحات ، وأعلنت الأفراح فى قاع البحر وعمت المباهج والمسرات . ولولا غرق المركب بمن فيه من الناس ، لما تم للسمك مايطمح إليه من بشر وإيناس ، ولما أقام الولائم والأعراس . وكم للقدر من عجائب وفنون ، ولله فى خلقه شئون .

(البقية فى العدد القادم) كامل كيلانى

حزب الاستقلال المراكشى

مظهر من مظاهر الكفاح العربى للحرية

لباحث فاضـل

فى فاتحة يناير ١٩٤٤ تأسس بمراكش حزب سياسى كبير تحت اسم (حزب الاستقلال) انتظمت فى سلكه جميع الأحزاب والهيئات السياسية الموجودة من قبل . وفى يوم ١١ يناير ١٩٤٤ حرر مذكرة قدمها إلى جلالة ملك مراكش وإلى ممثلى انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وروسيا يعلن ضرورة الاعتراف باستقلال مراكش استقلالا تاما وإجراء انتخابات لتأليف مجلس تأسيسى ينظم البلاد تنظيما دستوريا وتوقيع الحكومة المراكشية على وثيقة الأمم المتحدة ليصبح لها الحق فى مشاركة العالم الحر فى مؤتمراته ومسئولياته فى تنظيمات ما بعد الحرب .

وقد وجدت الأمة المراكشية فى مذكرة حزب الاستقلال تعبيراً صريحاً وصادقا عن رغبتها فاندفعت تؤيدها بكل حماسة بوادى وحواضر ، ورأى الفرنسيون والحلفاء بأعينهم إجماع أمة بأكملها طيلة ثلاثة أسابيع إلى أن انقلبت ميادين التأييد وتقرير المصير إلى ميادين قتال ودماء ووحشية مظلمة تسجل العار الأبدى على الفرنسيين .

وأقيل من منصبه ونفى إلى الصحراء صاحب المعالى وزير العدلية الإسلامية سيدى محمد بن العربى ، وصاحب المعالى وزير المعارف العلامة الحاج احمد بركاش ، وسعادة محافظ العاصمة ، كما اعتقل الكاتب العام لحزب الاستقلال احمد بلافريج وقدم للمحاكمة العسكرية هو وثلة من الزعماء السياسيين ، بحجة الاتصال بالألمان ، وقد حكمت المحاكم العسكرية ببراءتهم جميعاً ، فأخرج بالافريج من السجن العسكرى إلى جزيرة كورسيكا حيث هو الآن منفى مع زوجه .

وقد أكد حزب الاستقلال فى تلك الظروف السود أن موقفه لم يتغير وأن مذكرة ١١ يناير هى الأساس الوحيد لكل تفاهم مع الفرنسيين . أما الفرنسيون فقد نظموا هجوما سياسياً مضاداً هو إعلان دار الحماية عزمها على إدخال بعض الإصلاحات بعد أن تؤسس لجاناً رسمية تدرس لها ما تحتاجه مراكش من الإصلاحات . وقد كتب حزب الاستقلال مذكرة مطولة قدمها للفرنسيين وأظهر فيها ما يحتوى عليه برنامج دار الحماية من مراوغة وسخف ، كما أكد أن مذكرة ١١ يناير هى وحدها الحل الوحيد الممكن للتقارب بين المراكشيين والفرنسيين .

ماذا يريد الفرنسيون من مراكش ؟

يريدون أن تبقى جاهلة ، ولا أدل على ذلك من أن المراكشيين لم ينتجوا زهاء ثلث قرن كامل قضوه تحت تحكمات الفرنسيين سوى ثلاثة أطباء ونحو سبعة محامين ونزر من المدرسين !

ويريدون منها أن تكون مفككة العرى متنازعة مقسمة على نفسها ، ولا أدل على ذلك من (الظهير البربرى) الشهير الصادر يوم ١٦ مايو ١٩٣٠ والمرسومات والقرارات التى تبعته والتى فرضت على سكان البوادى المغربية أن يخرجوا عن الإسلام بالنار والحديد والشنق ، وأن يقطعوا كل صلة باللغة العربية وأن يعزلوا عزلا عن كل اتصال ببقية مواطنيهم المراكشيين . ويريد الفرنسيون من مراكش أن يكون فلاحوها متشردين

وقطاع طرق ، ولا أدل على ذلك من مرسوم ١٩٢٧ القاضي باعتبار نزع أراضي الفلاح المراكشي لفائدة « المستعمر » الفرنسي من المصلحة العامة . وليتصور القارىء أن مراكش من الأقاليم التي تشيع فيها الملكية الصغيرة ، فتكوين (عزبة) للتعمير تطلب اعتياديا نزع أراضي مئة إلى مئة وخمسين فلاحا مراكشيا يسلمون أراضيهم العزيزة لسيدهم المستعمر وينزلون هم إلى المدن بائسين من الحياة يزيدون في عدد البؤساء المجرمين . وهذه السياسة مستمرة منذ صدر مرسوم ١٩٢٧ .

ويريد الفرنسيون من مراكش ألا يسمع فيها صوت غير صوتهم ولا تنفذ إرادة غير إرادتهم ، وليس أدل على ذلك من أن مراكش تعيش قانونياً وعملياً تحت الحصار « الأحكام العرفية » منذ سنة ١٩١٤ إلى اليوم ، وهي مقسمة إلى مناطق على رأس كل منطقة منها حاكم عسكري ليس لسلطته حدود ، وعلى رأس الحكام العسكريين القائد الأعلى لجيوش الإحتلال بيده تفويض تام لإصدار أوامر باسمه متى شاء وكيف شاء ، فالمراسيم الملكية نفسها يوقف تطبيقها أو يناقضها أو يعدلها بحسب مصلحة جيش الإحتلال ووفقاً للمرسوم الملكي نفسه الصادر سنة ١٩١٤ القاضي بوضع البلاد تحت حالة الحصار « الأحكام العسكرية » وطبقاً لهذه الحالة المؤلمة ليس للمراكشيين ولا جريدة واحدة أو مجلة ، بينما تصدر الجالية الفرنسية عشرات الجرائد والمجلات من كل الألوان والنزعات . وليس للمراكشيين الآن ولا جمعية واحدة . وقد حلت إبان حوادث يناير ١٩٤٤ جميع الجمعيات والهيئات التي كان سمح بها من قبل لغايات استعمارية مختلفة . والمراكشيون محظور عليهم بحكم مرسوم ١٩٣٨ أن ينتسبوا لأية نقابة ، ومحظور عليهم أن يعقدوا أي اجتماع كيفما كانت صبغته ، ومحظور عليهم أن يتظلموا أو يقدموا عرائض تكشف عن رغباتهم . وليس للمراكشيين أية هيئة انتخابية تمثلهم إزاء السلطة بينما ينتخب الفرنسيون في مراكش للمجالس البلدية والغرف الفلاحية « الزراعية » والتجارية والصناعية ولمجلس شورى الحكومة المراكشية والبرلمان الفرنسي مباشرة برغم وضع مراكش الدولي والوطني . والمراكشيون محظور عليهم التعليم الحر بينما أطفالهم الصغار على حد ما جاء في خطاب جلالة الملك يوم ١٨ نوفبر الأخير متشردون في الطرقات العامة لا يجدون مدارس تكون منهم رجالا قديرين ، ولا تتسع المدارس الحالية لأكثر من ثلاثين ألف طفل فقط .

والمراكشيون يعيشون تحت نظام بوليسي محكم ، يسير الإنسان والأرصاد الجواسيس تتبعه وأخباره يبحث عنها حتى في منزله ومع أولاده ، وكل شخص من المحتمل استدعاؤه لإدارة المحافظة على الأمن حيث يذوق ألواناً من التعذيب الجثماني والكلام على تهمة مختلقة أو تافهة ، ومن الممكن إبقاؤه تحت يد الشرطة في آفاق التعذيب المظلمة شهراً أو أكثر ثم إطلاقه من غير أن يمر بمحكمة أو يسمع له بدفاع يثبت براءته عند البوليس ... ليتصور القارىء أن روح الشرف وعاطفة التضامن والشجاعة ونقاوة الضمير وكل ما يعتبر فضيلة في علم الأخلاق يعتبر في نظر الفرنسيين في مراكش جرائم خطيرة يطارد أصحابها وينكل بهم شر تنكيل ؛ لأن العقلية الاستعمارية الفرنسية لا تعترف بحياد لأحد مطلقاً ؛ فإما خادم لهم يدل على غيره ويتملق لأصغر الجواسيس وهو يتظاهر بالرضى والابتسام ، وإما عدو تمرغ مصالحه اليومية باستمرار وينتظر به أول فرصة ليرمى به في السجن أو ليساق إلى غرف التعذيب في قسم المحافظة على الأمن .

هذه هي الحالة النفسية والمادية التي تعيش عليها مراكش تحت الاستعمار الفرنسي المفروض ، ولكن المراكشيين يفضلون الموت على هذه الحياة التعيسة التي سامتهم من البؤس الفظيع ما لا يطيقون . لذلك صرخ حزب الاستقلال حزب مراكش الأعظم والوحيد باسم اثني عشر مليون مراكشي أن (لاحماية) ، فزلزل الفرنسيون للتأييد الجارف الذي لقيته هذه الصرخة المنيفة من ملايين المواطنين ابتداء من صاحب الجلالة ملك البلاد المحبوب إلى أصغر فلاح في جبل الأطلس ، ثم سددوا بنادقهم المجرمة ونيرانهم إلى صدر شعب بريء وقالوا إن يد الألمان حركته .

وهذا الشعب الذي لم يخجل الفرنسيون أن يقولوا إن يد الألمان حركته هو الشعب الذي قدم بسخاء دم أبنائه النفيس ليحرر صقلية وتونس وإيطاليا وفرنسا ووضع جميع موارده الاقتصادية وقواعده الحربية تحت تصرف المكافحين في سبيل الحرية لتصبح العدالة فارضة على الجميع أن يحترموا له حريته هو أيضاً من غير أن يضطر إلى إراقة دمه مرة أخرى .

مراكش « خبير »

فلسطينيات :

العزاب . . . !

للأستاذ نجاتي صدقي

تجاوز فهيم عبد الجواد الخامسة والأربعين ولا يزال عزَباً. فكم من مرة نصحته أمه فى شبابه أن يدخر عندها كل يوم خمسة قروش فلا تمضى أربع سنوات أو خمس إلا وتكون قد جمعت له مهر العروس ... لكنه كان يقابل رأيها هذا بابتسامة ساخرة ويقول لها : حسن . هاك نصف جنيه عن عشرة أيام ! فينساها ، وتنسى أمه مسألة الادخار إلى أن تثار الحكاية من جديد ، فتنصحه ويدفع ، فينسى ، فتنسى ، وهكذا ظل فهيم دون زواج .

فكان مكبوت العاطفة ، رقيق الشعور نزقا فى بعض الأحايين .

وفى عصر أحد الأيام ، بينما كان يحاول إغلاق مكتبه الذى يتعاطى فيه أعمال تأجير البيوت ، جاءته فتاة أجنبية ، وسألته عن غرفة مفروشة أو غير مفروشة ، لكنها رجته والحث فى السؤال فوعدها خيراً ... ولما علم منها فى سياق الحديث أنها جاءت المدينة فى ذلك اليوم ، وأنها وحيدة لا أهل لها ولا معيل ، أحب أن يمثل معها دور العاطف عليها ، فحدثها عن مصاعب الحياة ، والحرب وذيولها ، وغلاء المعيشة ، وأزمة المساكن ، وكانت الفتاة توافقه تارة وتخالفه تارة أخرى ، وفى نهاية الأمر دعاها لتناول العشاء معه ، فترددت ، فأغراها بما كل المدينة القديمة الشرقية وبالتفرج على بيوتها وفرشها ، فترددت ثانية ، لكنها استعرضت فى مخيلتها صوراً خيالية براقة قرأت فى هذه الدعوة ما يكشف لها أسراراً طالما طالعتها فى الروايات والقصص ، فأومأت إليه برأسها موافقة ، وذهبا سوية إلى مسكنه فى دير الأرز الواقع فى وسط المدينة القديمة .

كانت الساعة وقتئذ تقارب الثامنة مساء ، وقد انتشر الظلام فى حارات المدينة وأزقتها ، ولم ينرها سوى قناديل زيتية تكاد لا تعكس ضوءها إلا على نفسها فقط ! . وكانت الفتاة تسير إلى جانب فهيم أفندى وتتعثر ، فيعينها بوضعه راحته تحت رسغها برفق ، وإذا ما تراءى له أنها ستقع ، تأبط ذراعها ، فتشكره بكلمات غير واضحة متقطعة . ولما اقتربا من الدير قال لها : حذار من إحداث ضجة أثناء دخولنا الدير . سيرى على أطراف قدميك

قالت : وهل من شىء تخشاه ؟ إننى ضيفتك ، ومن يجرؤ ويمانع فى زيارتى لك ؟ ...

قال : للمسألة صلة بالتقاليد وليس بقواعد الاتيكيت . فمن عاداتنا ألا تزور امرأة رجلا أعزب فى بيته .

قالت : حقاً إنها لعادة غريبة ! ...

ودخلا الدير كما أفهمها فهيم أفندى ، وصعدا إلى الطابق الثانى بهدوء مطلق ، وولجا الغرفة بهدوء أيضاً .

ودير الأرز هذا كان فيما مضى من الأيام ملجأ للمتعبدات اليونانيات ، إلا أنه تحول إلى مسكن لرقيق الحال من الناس ، فضمت جدرانه مهاجراً بولونياً ، ولاجئاً يونانياً ، ومجلد كتب ، وممرضاً ، وبائع الخضار ، وغيره بائع الألبان ، وصاحب مكتب تأجير البيوت فهيم عبد الجواد ، وكان جميع ساكنى هذا الدير من العزاب ، ولذا كانوا يفرضون على بعضهم بعضاً رقابة أخلاقية شديدة الوطأة .

وما إن أجلس فهيم الفتاة إلى المائدة حتى سمع لغطاً خلف الباب ، ثم رأى وجهاً يطل عليه من النافذة التى تعلوه ، فعرف فيه وجه جاره مجلد الكتب ، وقد اتقدت عيناه فغدتا أشبه بالجمر وأخذ ينقر الزجاج بسبابته مشيراً إلى فهيم أن يفتح باب الغرفة .

فما كان من فهيم إلا أن زجره ، لكن المجلد تمادى فى النقر وعلى حين غرة حطم الزجاج بجمع يده فأحدث فيه فجوة ومد أصابعه منها إلى المزلاج الداخلى وفتحه ... وكان الهرج خلف الباب يتزايد ، ثم بادر المجلد فهيما بقوله :

— ألا تخاف ربك يا جارى ؟ !

فقال فهيم : خسئت أيها اللئيم ، إنها ضيفى ، وحاشا أن أدنس بيتى ...

فقال المجلد : فوالله إن لم أقض السهرة برفقتكما أثرت سكان الحى عليكما ! ...

وكانت الفتاة ترتجف من شدة الخوف والفزع ، وكان زملاء

في كتاب البخلاء للجاحظ

قرأ عظيم من عظماء الفكر في مصر كتاب البخلاء للجاحظ في طبعة وزارة المعارف التي ضبطها وشرحها وصححها الأستاذان أحمد العوامري بك وعلى الجارم بك، عضوا مجمع اللغة العربية الملكي فرأى فيها بعض المآخذ على التصحيح أو على الشرح آثر حفظه الله أن ينشرها في الرسالة خدمة لهذا الكتاب القيم عسى أن تفيد من اقتناه في هذه الطبعة، ومن يريد أن يعيد طبعه عنها. ونحن ننشرها شاكرين للأستاذ العظيم فضله على اللغة، وعطفه على الأدب، وصلته بمواصلة الرجل الكامل الذي يأخذ كل شيء مأخذ الجد الصارم، وإن لم يكن من صميم عمله ولا من حر اختصاصه.

في الجزء الأول

في ص ٢٨: « وإذا كان البكاء (الذي) ما دام صاحبه فيه فإنه في بلاء — وربما أعمى البصر وأفسد الدماغ ودل على السخف وقضى على صاحبه بالهلع، وشُبِّه بالأمة اللكعاء وبالحدث الضرع — كذلك، فما ظنك بالضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور إلى أن ينقطع عنه سببه ؟ »

قال الشارحان: لم تكن (الذي) في النسخ التي بين أيدينا وقد أثبتناها من نسخة الشنقيطي ليكون المعنى بها أوضح.

ثم قالا في رقم ٥ من الشرح: وقوله « كذلك » خبر كان.

وأنا أرى أن كلمة « الذي » مقحمة لأنها تفسد المعنى، وأن جواب الشرط « إذا » هو قوله: فما ظنك بالضحك الخ لا قوله « كذلك »؛ لأن كلمة كذلك إنما هي لضم « الحدث الضرع » إلى « الأمة اللكعاء » في تشبيه صاحب البكاء بهما، ومن الخطأ الفصل بين كلمتي الضرع و(كذلك) بتلك « الشرطة » — بذلك تتحرر العبارة، وتنزل على المعنى المعقول الذي يريده الجاحظ وهو أن البكاء مطلقا ما دام صاحبه متلبسا به فهو في بلاء؛ وربما أعمى البصر، وشبه بالأمة اللكعاء وبالحدث الضرع كذلك. وإذا كان هذا شأن البكاء على الإطلاق « أي لا شأن نوع منه » فما ظنك بالضحك الخ.

الجلاد يدفعون باب الغرفة بمناكبهم وكادوا يحطمونه لو لم يسارع فهيم إلى فتحه، فإذا به يشاهد المرض وقد رفع مجلد الكتب على كتفيه، وهو في قميص النوم، وبائع الخضار وقد التف بعباءة وهو حاسر الرأس حافي القدمين، وبائع الألبان واقفاً بسرواله الواسع وبيده هراوة ثقيلة ...

ما هذه الاغارة ؟ وما الذي يريده هؤلاء القوم ؟ ...

إنهم العزاب ... شموا رائحة الأنوثة المسكرة تعبر بأبواب غرفهم، فهبوا من فراشهم وتتبعوا الأثر إلى أن قادتهم أقدامهم إلى غرفة فهيم، وكان منهم ما كان ...

قال المرض لجاره الذي أخل بشروط العزوبة:

— نحن جيران يا أخي منذ خمس سنوات، وهل قصرت معك في شيء ؟ هل طلبت يوماً روحي ولم أضعها تحت تصرفك ؟

وقال بائع الخضار: يافهيم ... إنني أعهدك صريحاً فلو أطلعتني منذ الأمس على قصدك لكنت مددت لك يد المونة، ولسترت عليك الأمر، ولما درت هذه الكف ما تفعله الكف الأخرى.

وتقدم بائع الألبان مزمجراً والهراوة في يده وقال: وحق من بسط الأرض، ورفع السماء، إن لم تقبلنا في سهرتك هذه لأنثرن دماغك في جنبات هذه الغرفة ! ...

أما المسكينة فكانت تسمع ولا تفقه، لكنها أدركت أنها بيت القصيد، وأنها قد وقعت في الفخ.

ولما رأى فهيم أن المسألة قد تأزمت، وأن غرفته ستصبح مسرحاً لرواية مخزية، ولفاجعة مؤلمة، قال للفتاة بلغة لا يفقهها جيرانه: —

— لا تجزعي، سأغلق عليك الباب، وسأذهب في طلب بوليس الأخلاق ...

وأقفل الباب على الفتاة واجتاز العزاب وقد تربعوا في الممر يهدرون كالإبل. وبعد دقائق معدودات، عاد فهيم وبرفقته نفران فتبعثر العزاب هنا وهناك، وخرجت الفتاة بحراسهما، وقد سترت رأسها ووجهها بمنشفة حتى لا يراها أحد، ثم تركوا الدير أربعتهم وساروا في الطريق معا، دون أن ينبسوا بكلمة واحدة. وإذ بلغوا مسكن النفرين، وقف فهيم يستودعهما ويشكرهما على حسن صنيعهما. فأجابه أحدهما: لا شكر على واجب. ولكن هلا تفضلت مع الفتاة لنقضي السهرة عندنا ؟ !

نجاتي صدقي

على أن من يريد إقحام « الذى » بعد كلمة البكاء لتقابل كلمة «الذى» الواردة بعد كلمة الضحك فى جواب الشرط ، لا بد أن يحذف الواو قبل كلمة « ربما أعمى » لتكون ربما وما بعدها خبرا لكان .

وجاء فى صفحة ٣٤ : « وإن من أعظم الشقوة ، وأبعد من السعادة ، ألا يزال يتذكر زلل المعلمين ، ويتناسى سوء استماع المتعلمين » وأظن أن كلمة (من) فى قوله وأبعد من السعادة زائدة أو واجبة التقديم على « أبعد » ؛ وإذا حذفت على اعتبارها زائدة فلا بد من جر « أبعد » بالعطف على أعظم .

وجاء فى صفحة ٧٧ : « قال أبو مازن وأرخى عينيه وفكيه ولسانه ، ثم قال : سكران والله ! أنا سكران » . وقال الشارحان تعليقا على (قال) الثانية : كان يمكن أن يستغنى عن قال هذه ، والصواب فى رأيى أن قال الأولى صحتها « مال » إذ لو حذفت قال الثانية لبقى الإشكال فى ثم .

وجاء فى صفحة٨٩ : «قد عرفت الرأس حق معرفته ، وفهمت كسر الإكسير على حقيقته » والصواب على ما أظن سر الإكسير لا كسر الإكسير . وفى الصفحة نفسها «وعرفت التنجيم والزجر والطرق والفكر» وقد فسر الشارحان كلمة الفكر بقولهما : يحتمل أنه يريد بالفكر هنا طرق التفكير ، والذى أراه أن المراد بالفكر هنا هو قراءة أفكار الناس لا كيفية تفكيره هو ، وهذا النوع هو الشائع الآن عند كثير من المتكهنين .

وجاء فى صفحة ٩٠ : « ولولا أن أكون سببا لتلف نفسك لعلمتك الساعة الشىء الذى بلغ بقارون » وفسر الشارحان المراد بتلف النفس هنا بما قد ينشأ بتعلم هذا العلم من طغيانها وتمردها. وأقول إن المراد صعوبة حمل هذا العلم لما ذكره بعد من عجائبه ، تلك الصعوبة التى تقتضى بذل جهود مهلكة . وفى الصفحة نفسها فسر الشارحان « صنعة التلطيف » فى قول الجاحظ : « ولكنى سألقى عليك علم الإدراك ، وسبك الرخام ، وأسرار السيوف القلعية ، وعقاقير السيوف اليمنية ، وعمل الفرعونى ، وصنعة التلطيف على وجهه» فسرا صنعة التلطيف بصنعة النقش والتزيين. والأظهر أن التلطيف عملية كيميائية كما جاء فى طبعة ليدن . وما لا يعرف معناها بعد مراجعة كتاب الحيوان ، فالغالب أن معناها التصعيد أى تأويل الأجسام إلى غازات ، أو تخفيف الكثيف وجعله رقيقا .

وجاء فى صفحة ٩١ : « ولست أرضاك ولو كنت فوق البنين ، ولا أثق بك وإن كنت لاحقا بالآباء ، لأنى « لم أبالغ » فى محبتك » والصواب فى محنتك لا فى محبتك ؛ لأن عبارة « لم أبالغ » لا تتفق فى هذا المقام مع فى محبتك ، إذ الأب يصف حالة قائمة بنفسه قبل الكلام وأثناءه وبعده ، فإذا فرضنا أن (فى محبتك) غير محرفة ؛ فلا بد أن يكون ما قبلها محرفا عن « لا أبالغ » وبهذا التصحيح قد تكون عبارة ذلك الأب مفهومة . على أن الحق هو أنها صحيحة ، والمحرف إنما هى العبارة التالية ، إذ الأب يقول لابنه إن معارفى التى شغلنى تحصيلها عنك لم تترك لى وقتا أستزيد فيه من اختبارى درجة عقليتك وامتحان مبلغ استعدادك . ولذلك تمشت عبارة « لم أبالغ » مع عبارة « فى محنتك » لأن الوالد يبالغ دائما فى محبة ابنه .

وجاء فى صفحة ٩٣ : «احتال الآباء فى حبس الأموال على أولادهم بالوقف ، فاحتالت القضاة على أولادهم بالاستحجار» وقال الشارحان وقد عدل عن الحجر ، وهى الكلمة المألوفة إلى الاستحجار التى لم نجدها بهذا المعنى فيما بين أيدينا من المراجع . وأقول : ليس الإستحجار هو الحجر حتى يكون الجاحظ قد عدل عن هذه إلى تلك ؛ بل الواضح أن الاستحجار هو طلب الحجر ؛ واحتيال القاضى فى الاستحجار هو سعيه بسوء نية فى جعل أحد الناس يطلب الحجر على الموقوف عليه ، وهذا ظاهر لا يدعو للتشكك ولا للرجوع إلى المعاجم .

وفى الصفحة نفسها يقول الجاحظ: « يا ابن الخبيثة : إنك وإن كنت فوق أبناء هذا الزمان فإن الكفاية قد مسختك » وأقول إنها مسحتك بالحاء المهملة لا مسختك كما فى المتن ، ولا محنتك كما فى نسخة ليدن ، ولا مجنتك بتشديد الجيم كما ينطق بعض المستشرقين . وذلك أن مسح الرجل أو مسحه بالتشديد معناها قال له قولا حسنا ليخدعه به ؛ فالمراد إذن أن الكفاية أى رغد العيش الذى أنت فيه قد فتنتك وخدعتك عن نفسك .

وجاء فى صفحة ١٠٢ : « وزرته أنا والمكى ، وكنت أنا على حمار مكار ، والمكى على حمار مستمار ، فصار الحمار إلى أسوأ من

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٩٤ — وأنت في جد

في (مسالك الأبصار) : قال عبد الله بن الربيبي : دخلت أنا وأبو النصر البصري (بيعة[1] ما سرجس) وقد ركبنا مع المعتصم نتصيد . فوقفت أنظر إلى جارية كنت أهواها ، وجعل هو ينظر إلى صورة في البيعة استحسنها حتى طال ذلك ، ثم قال أبو النصر :

فتنتنا صورةٌ في بيعـــة ! فتن اللهُ الذي صورهــــا ! !
زادها الناقشُ في تحسينها فَضْلَ حسن أنه نضّرها

(١) البيعة — بالكسر — متعبد النصارى ج بيع كعنب .

وجهها (لا شك عندي) فتنة وكذا هيَ عند من أبصرها
أنا للقَس عليها حاســـد ليت غيري عبثاً كسّرها !

قال الربيبي : فقلت له : شتان ما بيننا ، أنا أهوى بشراً ، وأنت تهوى صورة .

قال لي : هذا عبث ، وأنت في جد .

٦٩٥ — وحامها عند الكمال يموت

حكى أن إنسانا رفع قصة إلى الصاحب كمال الدين بن العديم فأعجبه خطها فأمسكها وقال لرافعها : أهذا خطك ؟

قال : لا ، ولكني حضرت إلى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لي . فقال : عليّ به . فلما حضر وجده مملوكه الذي يحمل مداسه وكان عنده في حال غير مرضية . فقال له الصاحب : أهذا خطك ؟ قال : نعم . قال : فهذه طريقتي فمن الذي أوقفك عليها ؟

قال : يا مولانا كنت إذا وقعت لأحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة على حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة . فأمره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب :

حال الذود) والصواب الزّور لا الذود ، والزور : الضيوف جمع زائر ، مثل ركب وصحب جمع راكب وصاحب .

وجاء في الصفحة نفسها : «فأعاد المسألة فأمكنه من أذن من لايسمع إلا مايشتهي» ، وقال الشارحان : «فأمكنه إلى آخره ، أمكنه من الشيء كمكنه بتشديد الكاف منه ، وفاعل أمكنه يعود إلى المكي، وضمير المفعول إلى المسألة بمعنى الطلب ليطابق المرجع .

وأقول إن هذا التفسير يفسد عبارة الجاحظ ، وهي من أجمل العبارات . والصواب أن صاحب البيت هو الذي أمكن المكي من أذن صماء كما تقول : أعارني أذنا صماء . وجمال العبارة هو في التمكين الموهم بلوغ المقصود ، ثم اتباع هذا التمكين ببيان أن الباب الذي انفتح لا يؤدي إليه ، وإنما يؤدي إلى نقيضه .

وجاء في صفحة ١٠٣ :«وصديق كنا قد ابتلينا بمؤاكلته ، وقد كان ظن أنا قد عرفناه بالبخل على الطعام ، وهجس ذلك في نفسه ، وتوهم أنا قد تذاكرنا أمره ؛ فكان يتزيد في تكثير الطعام ، وفي إظهار الحرص على أن يؤكل حتى قال : من رفع يده قبل القوم غرمناه دينارا . فترى بغضه إن غرّم دينارا . وظاهرُ لأمته ، محتمل في رضا قلبه ومايرجو من نفع ذلك له » .

وقال الشارحان بعد أن فسرا هذا الكلام على هذا الضبط : (ولا يخفى مافي هذه العبارة من إيجاز وغموض، وأقول: إن سوء الرسم هو الذي أدى إلى تفسيرهما المعقد ، وصواب العبارة أن تضبط هكذا « فترى بغضه أن غرم دينارا ، وظاهرَ لأمته ، محتملين في رضا قلبه إلى آخره) وإذن يكون معنى العبارة أنك أيها القارىء ترى أن بغضه للكرم المدلول عليه بتغريمه الدينار ، والدينار أكبر قيمة من كل طعامه ، ثم إكراهه نفسه على الظهور بمظهر من يلوم على عدم الأكل ، هاتين الخصلتين المتناقضتين قد وسعهما قلبه فاحتملهما لما يرجوه من الظفر في النتيجة .

(يتبع)

وما تنفع الآداب والحلم والحجا   وصاحبها عند (الكمال) يموت

فكان إعجاب الصاحب بالشعر أكثر من الخط لأن فيه تورية لطيفة ، ورفع منزلته حينئذ .

٦٩٦ — قد أبلغناه محبته

في (شرح النهج) لابن أبي الحديد : قيل لأبي مسلم الخراساني إن في بعض الكتب المنزلة : (من قتل بالسيف فبالسيف يقتل) فقال : القتل أحب إلى من اختلاف الأطباء ، والنظر في الماء ، ومقاساة الدواء والداء . فذكر ذلك للمنصور بعد قتل أبي مسلم ، فقال : قد أبلغناه محبته ...

قال المنصور للمهدي : ما أيدت بمن أيد به من كان قبلي ، أيد معاوية بزياد ، وأيد عبد الملك بالحجاج . فقال المهدي : قد أيدت بمن فوقهما . فقال تعني أبا مسلم ؟ قال : نعم . قال : قد كان كذلك لكنه خيرنا بين أن نقتله أو يقتلنا فاخترنا قتله ...

٦٩٧ — وعليه زبنهم

في (تاريخ بغداد) :

قال أبو بكر بن شاذان : سألت أبا الطيب محمد بن الحسين اللخمي أن يملي على شيئاً فأبى ، ثم سألته فأجاب ، فقلت له : أعطني ورقة . فقال لي : والورق من عندي ؟! اكتب ، وأنشدني هذه الأبيات :

رب ، ما أقبح عندي عاشقا   مستهاما يتفقا سمنا !

قلت من ذاك ؟ أنا ؟ فاستضحكت   ثم قالت : من تراه ؟ فأنا ؟

قلت : زوريني فقالت : عجبا   أنا والله إذن قاري مني

إذ يصلي وعليه زبنهم   أنت تهواني وآتيك أنا ؟!

٦٩٨ — إن اهتمامك بالمعروف معروف

قال عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قدمت على المتوكل بسر من رأى ، فدخلت عليه يوما فقال لي : يا أبا يحيى ، قد كنا هممنا لك بأمر ، فتدافعت الأيام به ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، سمعت مسلم ابن خالد المكي يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة ، وأنشدته :

لأشكرنك معروفا هممت به   إن اهتمامك بالمعروف معروف[1]

ولا ألومك إن لم يمضه قدر   فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

فجذب الدواة فكتبهما ، ثم قال : ينجز لأبي يحيى ما كنا هممنا له به ، وهو كذا ، ويضعف لخبره هذا .

٦٩٩ — لا يعقل

أبو سعيد الكرماني :

عزلت وما خنت فيما وليت   وغيري يخون فلا يعزل

فهذا يدل على أن من   يولي ويعزل لا يعقل

٧٠٠ — أهذا أيضا مما أعده ؟

في (الكشاف) : عن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) أنه شكر عبد الملك حين زوجه ابنته ، وأحسن إليه فقال : وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن . فقال ابن لعبدالملك : إنما هو كلام أعده لهذا المقام ، فسكت عبد الملك . فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر ، فسأله عن نفقته وأحواله فقال : الحسنة بين السيئتين . فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما[1] » فقال لابنه : يا بني ، أهذا أيضا مما أعده ؟ ...

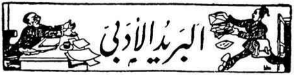
٧٠١ — حتى تغرب الشمس

قال أحمد بن طاهر : كنت في مجلس بعض أصدقائي يوما ، وكان معي علي بن عبيدة الريحاني[2] في المجلس ، وفي المجلس جارية كان يحبها ، فجاء وقت الظهر فقمنا إلى الصلاة وعلي والجارية في الحديث . فأطال حتى كادت الصلاة تفوت فقلت له : يا أبا الحسن ، قم إلى الصلاة ، فأومأ بيده إلى الجارية وقال : (حتى تغربَ الشمس) فجعلتُ أتعجب من حسن جوابه ، وسرعته وكفايته .

(١) القوام : العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ، ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء . وقرئ قواما (بالكسر) وهو ما يقام به الشيء . (الكشاف) ، وفي اعراب القرآن للعكبري : (وكان بين ذلك) أي وكان الانفاق و(قواما) الخبر ، ويجوز أن يكون (بين) الخبر و (قواما) حالا .

(٢) هنيات : جمع هنية ، في (النهاية) : أنه أقام هنية أي قليلا من الزمان ويقال هنيهة أيضا في (المصباح) : مكثت هنيهة أي ساعة لطيفة .

(١) شكرت له وشكرته وأنكر الأصمعي شكرته وقال بابه الشعر (المصباح) شكرته وشكرت له وباللام أفصح ، وشكرت نعمة الله (اللسان)



مجون مجنون :

إذا جاز لغيرنا من أمم الغرب أن يستحلوا الكذب الطريف في أول ابريل لأنهم قلما يكذبون في سائر الأيام ، فما الذي يجيز لنا نحن أن نتعمد الكذب في هذا اليوم ، وحياتنا ومعاملاتنا وأخلاقنا ومبادئنا كلها كذب صراح في جميع أيام العام ؟ لقد كان الأخلق بنا أن نستريح في هذا اليوم إلى الصدق ترفيها لأنفسنا وألسنتنا من عناء الكذب المتصل في كل ساعة وفي كل شيء . وإذا لم يكن بد من هذا التقليد البليد فمن لوازمه أن يتوخى الكذاب الطرافة والظرف فيما يكذب ليكون له من هذه الحال مبرر . ولا ندري أي طرافة وأي ظرف في هذه الكذبة المؤلمة التي صاغها ذلك الطالب الماجن حول حياة الأستاذ منصور جاب الله ، وبعث بها إلى الرسالة فنشرتها في العدد الماضي ! لقد رُوِّع أصدقاء الأستاذ منصور ، وبخاصة صديقه الأستاذ كامل كيلاني ، فقد بات بليلة الوفي المرزوء يكابد مرارة الحزن ، ويعد كلمة الرثاء ، ويتمنى مع ذلك على الله أن يرد علينا في الصباح خبر يكذب الخبر لأننا لم نقرأه في صحيفة ولم نسمعه من أحد . وقد حقق الله ما تمناه ، وجاءنا من الأستاذ منصور هذا الكتاب الذي يكذب والحمد لله ما نشرناه :

سيدي ... رئيس تحرير « الرسالة »

تحية واحتراما ، وبعد ، فقد دهشت أن يعمد أحد المجان إلى صحيفة الأدب الرفيع الوقور ، فيتخذ منها متنفسا لمجونه العابث ومرتعا لهذه العادة السخيفة التي يسمونها « أكذوبة إبريل » .

وإني إذ أشكر الصحب والإخوان الذين شملوني بعطفهم وأولوني برهم ، أعجبَ لهذا العابث الذي يزعم أنه ينتسب إلى إحدى جامعاتنا ، حين تزيد في القول فادعى أني أكتب الرسائل الجامعية لأصحابها ، وأني أحرر المقالات والمحاضرات للأصدقاء الموزين .

من أين علم هذا ؟ وكيف لي بهذا ؟ إن مثل هذا التعريض لا يليق بشاب ينتظره مستقبل لامع وأمة ناهضة .

إنها على كل حال سانحة طيبة لأبادل إخوان الأدب وأهل الفضل شعورهم . جزاهم الله خيراً ، وأجزل بين الأبرار ثوابهم . والسلام عليكم ورحمة الله .

(اسكندرية) **منصور جاب الله**

رسالة في القدر :

[لصاحب ديوان « وحي المرأة »]

سيدتي الفاضلة :

تلقيت كتابك الكريم الحزين ، وإني لألمس فيما يضطرم فيه من لاعج الألم : وفيما ينطوي عليه من احتجاج كظيم وثورة مكبوتة ، مبلغ السعادة التي فجعك فيها القدر ، ذلك القدر الذي فجعني مثل فجيعتك .

وما أحسب أهل الحضارات القديمة من الأمم الخالية إلا على عذر في تصورهم أن الآلهة تحسد من تهيأت لهم السعادة في تمامها وكمالها من البشر ، فتبتدرهم بما يقتضب تلك السعادة عليهم .

ولقد كنت في صدر حياتي أعجب للمأساة عند الاغريق وتصورهم فيها للقدر يقضي قضاءه لغير موجب نعقله ، فلا تجدي حيلة ولا شفاعة ، لا حيلة في الأرض ولا شفاعة في السماء تقف في وجه القدر الطاغية فيما يروونه من أساطير تاريخهم . وذلك أنهم كانوا — مع إيمانهم بسلطان الأرباب على البشر — يجعلون القدر فوق الأرباب .

وإني لأذكر اليوم هذه الصورة للقدر التي كنت أعجب لها عند الإغريق الأقدمين ، ثم أذكر هذا الذي ما نزال عليه نحن عامة المسلمين من الاعتقاد بالمقدور المكتوب من قديم لكل واحد منا ، وما يستتبعه من الدعاء بدعائنا المأثور « اللهم لا أسألك رد القضاء ، ولكن أسألك اللطف فيه » فلا أملك نفسي من مراجعة النظر والتفكير . أجل ، إني لأديم التفكير في هذا على الرغم مني .

ولست أزعم ولا أنت تزعمين يا سيدتي أن الفجيعة التي نزلت بنا لم تنزل قط بأحد غيرنا . ولكني لا أجد في ذلك عزاء وأظنك مثلي ، وإنما ذلك أدعى إلى زيادة الأسى على حظ البشر المساكين .

وكل ما يستطيعه الإنسان في رأيي ويليق بكرامته أن يواجه الحقيقة وينظر إلى وجهها سافرة معتصما بذلك الاستسلام الجليل النبيل الذي عرف به الفلاسفة الرواقيون . فهل نحن مستطيعون ؟

وقبل أن أختم هذه الكلمة اليائسة التي كنت أود لو قلت

غيرها من قبيل الكلام الذى تعوده الناس فى هذه المناسبات الحزينة ، أعتذر مخلصاً للسيدة الفاضلة عن خروجى عن المألوف ، وأرجو أن تتقبل اعتذارى . أما اعتذار السيدة عن ترديدها لشعر الديوان فى بكاء حبها الضائع وإلفها الراحل فهو حقها ، فالديوان ديوانها مثل ماهو ديوانى ؛ إنه ديوان كل من أصيب فى حبيب . أما ثناؤك الكريم يا سيدتى على ناظم الديوان ، فانه ينصرف إلى صاحبة وحيه ولك عليه أجزل الشكر منى

عبد الرحمن صدقى

حول نقل الأديب

تتحف الرسالة الغراء قراءها الفينة بعد الفينة بما يمتع الأستاذ الجليل النشاشيبى فى (نقل الأديب) ويشفعه بالبيان والنقد مما لا يذر طلبة لمستزيد .

وفى عدد الرسالة الأخير رقم ٦٦٥ الطرفة الأولى (قضية خمرية) التقطها الأستاذ من (شرح المقامات) للشريشى . غير أنه لم يعقب عليها بالرد على تفسير القاضى عبيد الله ببى حسان فى زعمه أنه ويد بقوله (كلتاهما حلب العصير) الخمر ومزاجها ، فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب . كدأبه فى التنقيب والاستيعاب .

إن تلك الطرفة الأدبية (على ما زعم القاضى) سبق بقصها الأصبهانى فى الأغانى ، أخبار الواثق ج ٩ ص ٢٨٨ طبع الدار ، وحكاها الحريرى استطراداً فى درة الغواص الوهم ١٠٨ ثم نقلها عنه ابن حجة الحموى فى أوائل (ثمرات الأوراق) كذكر الشريشى .

وقد فند ابن الشجرى فى أماليه تفسير القاضى بأوجه ثلاثة : الأول أن (كلتاهما) للمؤنث والماء مذكر ؛ والثانى أن (أرخاها) للمشاركة والزيادة والماء لا إرخاء منه ؛ والثالث التدافع بين قولى القاضى الخمر عصير العنب وحسان حلب العصير للزوم إضافة الشىء إلى نفسه . ثم ارتأى بعدئذ أن الشاعر أراد كلتا الخمرتين الصرف والممزوجة حلب العصير .

نقل ذلك كله عن الأمالى الشهاب الخفاجى فى شرح الدرة ، وكذا البغدادى فى خزانة الأدب ج ٢ ص ٢٤٠ .

ولسيدى الأستاذ الجليل آى الاكبار والاجلال . **محمد الطنطاوى**

مدرس بكلية اللغة العربية

المرأة ووظائف النيابة والقضاء :

« الرسالة » مهبط الوحى الشعرى ومنار البيان النثرى فلا غرابة فى أن يتسع صدرها لعرض موجز لقضية طريفة أثيرت أخيراً فى إحدى المجلات وهى قضية المرأة وحقها فى تولى وظائف النيابة والقضاء ... فقد سألت المجلة سعادة النائب العام فتركزت إجابته فى نقط ثلاث : هى أن طبيعة العمل فى النيابة طبيعة شاقة . وأن القانون لا يسمح للمرأة أن تتولى النيابة . وأن حرمان المرأة هذا الحق هو فى الواقع — عند رأيه —

هذا رأى النائب العام . وللردّ عليه نقول : أفليست المرأة تحمل ليسانس الحقوق كالرجل ؟ وإذا كانت قد استوعبت قواعد التقنين وأصول التشريع ووسائل التحقيق وطرائق المرافعات كما استوعبها الرجل سواء بسواء ، فما المانع الجدّى الذى يحول دون الانتفاع بها فى وظائف النيابة ما دامت الأداة والوسيلة بين يديها ... ؟

وإذا احتج حضرة النائب العام بأن هناك بعض القضايا التى قد تخجل من ممارستها وتحقيقها « النائبة » فاحتجاجه هذا يدفعه أن المرأة بطبيعة الحال قد درست مثل هذه القضايا ، والدراسة مهما كانت تحمل لون التصوّر والتخيّل للوقائع والتطبيقات العملية . وإذا طلبت المرأة أن تتولى النيابة ففى طلبها هذا رضاء ضمنى منها للقيام بسائر تبعات وظيفتها ... وعندئذ تسقط الحجة القائلة بأنهم يحرمونها لا ظلماً لها وإنما محاباة لها وإكراما ...

هذا ويعرّض سعادة النائب العام بطلب زميلة فاضلة أرادت الاشتغال بالنيابة مع اشتراطها أن تعمل وكيلة للنائب العام فى قضايا الأحداث ... ولست أدرى ... أكان يجب أن تشكر على اختيارها هذا القائم على المنطق والدراية والقياس ... أم كان ينتظر أن تمنع ويعرض برأيها ... الحقيقة أن خير من يزن ويقدر أحوال ودوافع الجريمة عن الأحداث هى المرأة ... إنها وحدها التى تحمل التوجيه والتربية فى عطفها الأموى . ثم لم تتجه الإرادة والرغبة إلى تخصيص قضاة للأحداث ، فلم لا تترك هذه الوظائف للمرأة ... وظائف قضاة الأحداث ونيابة الأحداث ...

وبعد فهذه مشكلة نعرضها على صفحات « الرسالة » الغراء راجين من كتابها القانونيين أن يسارعوا إلى دراستها ...

(إسكندرية) **عواطف بيومى**

قصص فرعونية :

٢ ـ قصـــة سينوحيت

لأديب مصرى قديم

للأستاذ محمد خليفة التونسى

[ملخص ما نشر فى العدد ٦٦٣]

أشرك ملك مصر أمنمحعت الأول قبل وفاته بعشر سنوات ابنه وولى عهده أسرتسن الأول فى حكم مصر ، وكان أسرتسن يقوم بقيادة الجيوش فى حملاته على البلاد الخارجية بينما يبقى أبوه فى العاصمة لتدبير شئون مصر .

فى إحدى حملات أسرتسن على ليبيا كان يرافقه بطل القصة سينوحيت الذى كان حافظ أختام الملك ونديمه ومستشاره والقيم على شئون الغرباء ، وبينما الجيش عائد إلى العاصمة من الغرب جاء رسول من القصر إلى أسرتسن يحمل إليه نعى أبيه سراً ، وسمع سينحوت بموت أمنمحعت فقرر الفرار من الجيش بل من مصر ، لأنه رأى أن فى بقائه فيها خطراً على حياته بعد موت أمنمحعت واستبداد أسرتسن بالأمر فيها ، فاختفى فى أحد الحقول حتى مر الجيش على مكمنه فلم يره ، ثم سار إلى سنفرو ثم الجيزة ثم عبر النيل إلى الشرق على طوف وجده هناك حتى وصل الجبل الأحمر ، ثم سار إلى الشمال مجتازاً مسلحة عند عين شمس كانت تحمى مصر من غارات الأسيويين ثم انحدر فى وادى كيمور (طوميلات) وفيه كاد يهلك ظمأ لولا أن عثر عليه رجال من الساتى (بدو آسيا) فعرفوه وأنقذوه وأضافوه عندهم أياماً ، ثم رحل عنهم إلى أدوم . وها هو ذا سينوحيت يروى بقية القصة ...

لم تطل إقامتى فى أدوم[١] أكثر من ستة أشهر ، وهناك وافانى من الأمير أمونشى الحاكم على مرتفعات تنو[٢] رسول يطلب منى أن أرحل إليه ، إذ كان فى حاشية هذا الأمير بعض المصريين الذين كانوا يعرفوننى ، فوصفونى عنده ، وأخبروه بمنزلتى[٣]

(١) ، (٢) أدوم مكان زراعى فى الجنوب الشرق من فلسطين شمال خليج العقبة ، وبجانبه مرتفعات كان يطلق على سكان بعضها تنو ، وأميرهم فى ذلك الوقت هو أمونشى كما يسميه الكاتب ، وقد كانت خيرات هذا المكان وفيرة تترك للقصة تفصيلها .

(٣) يلاحظ أن معرفة جوع الساتى فى الصحراء وبعض حاشية الأمير أمونشى لبطل القصة عنوان على عظيم مكانته فى البلاط المصرى ، وعلى اهتمام الأمم الساكنة شرق مصر بأخبارها ، وكان لقربها منها واختلاط أهل البلدين معاً أثر كبير فى ذلك كما يفهم من القصة .

فلبيت دعوته وأتيت ، فطلب منى الإقامة معه معللا ذلك بقرب بلاده من مصر ، وبأن من اليسير على ، وأنا فى بلاده ، أن أقف على ما يجرى فى مصر من أحداث .

وربما كان الرجل خالجه أن أمراً ما هو الذى ألجأنى إلى أن أهجر بلادى ، فشاء الوقوف عليه ، فحاول استدراجى لأكشف له عنه ، فسألنى عما دفعنى إلى المجىء ، وعما جرى فى البلاط ، وما إذا كان الملك سحتب آب رع (أمنمحعت الأول) قد رحل إلى السماء[١] .

فهمت حيلة الرجل فلم تنطل علىّ ، وقلت له مداوراً حتى لا يهتدى إلى ما كان : « إننى لم آت هنا فراراً من ذنب جنيته : فأنا لم أنطق بفاحشة ولا أصغيت إلى رأى امرىء ، ولا حوكمت أمام القضاء ، ولكنى — إذ كنت فى تمهو (ليبيا) — ترددت فى السفر ، غير أنى وجدت أنه لا يليق بشجاعتى أن أعدل عما أزمعت من الرحلة فرحلت ، لم يكن من أمرى غير ما حدثتك ، فأنا لا أدرى ما دفعنى إلى هذا الاقليم » .

قال الأمير : « إنما هى مشيئة الإله الكريم[٢] ، وإنّ ذكره ليلقى من الروع فى قلوب الأجانب ما يلقى عام القحط فى قلب الفلاح » .

فقلت : « عفواً فلقد تسلم ابنه مقاليد الملك ، وتربع على عرشه ، وإنه لفريد بين من سبقوه فى أخلاقه وعظمته ، فهو حازم أريب فى كل مايدبر من أساليب ملكه ، وهو يسبغ عطفه على كل من يخلص له ، وهو — إلى ذلك — قائد بارع دوخ بجيوشه الأقطار الأجنبية عند ما كان أبوه حياً فى القصر[٣] ، وهو بطل صنديد فريد فى قتاله : إنه — إذا دارت المعركة —

(١) يلاحظ أن الأمير يريد التجسس على أحوال مصر من سينوحيت الذى يفطن إلى مقصده فأخذ يراوغ فى الجواب ، ثم يصكه فى رفق وكياسة بما يملأ قلبه خوفاً من مصر وإجلالا لها بعد أن ينفى عن نفسه التهم من الذنوب ، حتى يبين للأمير الذى ظنه مجرماً مضطراً إليه ، سهل الكشف عن عورات وطنه أنه ليس مضطراً إلى الاغتراب ، وأنه ما يزال مخلصاً لوطنه غيوراً عليه .

(٢) هو الملك ، وقد كان المصريون أول من ألهوا ملوكهم فأسبغوا عليهم صفات الآلهة .

(٣) حكم أسرتسن الملك مصر فى آخر حياة أبيه أمنمحعت الأول عشر سنين كما ذكرنا فى المقدمة ، وكان أبوه يخلفه فى الحكم عند ارتحاله للحرب كما يفهم من القصة .

ليقتحم صفوف أعدائه الطغام غير هياب ولا وجل ، فيطيحُ أبواقهم ، ويهشم جماجمهم ، ويصدع صفوفهم بضرباته القوية حتى يشل قواهم ، فيكفوا عن القتال ، ويولوا الأدبار ، وهو مقتحم لا يأبه بالأخطار ، ولا قبل لأشجع الشجعان بالوقوف فى وجهه ، كما أنه عداء سريع لا يستطيع أحد أن يفلت منه ، بل يتخطفه قبل أن يبلغ مأمنه ، وإذا ما استحرّ القتل انقضّ على أعدائه فنفضهم من حوله نفضاً ، وهجم ذات اليمين وذات الشمال ومن الخلف ومن الأمام ، وتساقطت ضرباته المنيفة الثقيلة فى كل ناحية ، والويل لمن حلت عليه إحدى ضرباته ، إنها لتُجندله وتسحقه ، إنه هو الأسد الهصور ينشب برائنه فى أعدائه بلا شفقة ، فإذا هم كالكلاب الذليلة الخاشعة قد انفضوا من حوله ، حتى إذا ما انهزموا لم يعفهم بل يطاردهم حتى يلحقهم ، ويمزقهم شر ممزق . لقد أمدته الآلهة ببطشها وجبروتها ، وإنها دائماً لترعاه ، وتكفل له الغلبة على الأعداء الذين لا يؤمنون بها . وقد جمع إلى كل ذلك فضائل جمةّ ؛ فهو أنيس حلو الشمائل لطيف المعشر نافذ البصيرة قدير على أن يخلب الألباب ويستميل القلوب ، وما من أحد فى شعبه إلا وهو يؤثره على نفسه ، ويفتديه بحياته . وقد تمرّس بالحكم ومصاعبه منذ ولد ، وكان مولده بشيراً بتكاثر الذريات ، وشعبه متمسك به ، يحبه ويستريح إلى حكمه ، وهو حريص على أن يمد حدود مصر نحو الجنوب ، وإن كانت الأقاليم الشمالية لم تخضع له[1] ، وهذه قبائل الساتى[2] لم تذق ضرباته ، ولكن من يدرى فربما اُجتاح يوما هذه الأقاليم ،

(١) كانت العاصمة أولا طيبة (قرب الأقصر) فى الجنوب وكان سلطان الملك ضعيفاً على الشمال بدليل تجول قبائل الساتي الأجنبية بلا رقابة شمالى عين شمس كما ورد فى القصة ، وكانت عناية الملك متجهة إلى الغزو جنوباً ، ثم صارت العاصمة فى الشمال قرب منف لتكون وسطا ولتسهل منها مراقبة الدلتا وحمايتها .

(٢) قبائل أسيوية كانت تتجول حينذاك فى الأراضى التى تمتد من الدلتا إلى الشرق ، ولم يكن المصريون يأبهون بتجوالها لأنهم لم يكونوا مسيطرين على الدلتا كل السيطرة ، ولأنهم كانوا دولة متحدة قوية منظمة بينما هذه القبائل رحالة متفرقة ضعيفة ، ولم يكن المصريون حينذاك قد ذاقوا مرارة الاحتلال ، وكانت لهم على الحدود الشمالية الشرقية مسالح تحميها من الغارات منها مسلحة عين شمس المشار إليها فى القصة ، وقد استطاعت هذه القبائل بعدئذ فتح مصر وإخضاعها وهم المعروفون بالهكسوس .

فخير لك أن تقدم له فروض الولاء حتى يعرفك ، ولا ريب أنه سيشملك بعطفه[1] » .

فقال : « ما أسعد مصر ! إن موقعها حسن وشئونها مدبرة بإحكام وسداد ، وهأنذا أعاهدك على أن أقدم إليك كل مساعدة أستطيعها ما دمت أنت بجانبي آية تقديرى لمصر التى أنت منها » .

وقد أوفى الأمير بعهده فزفّ إلىّ كبرى بناته ، وترك لى أن أختار ما أشاء من أرضه ليقطعنى إياه ، وكان — فيما عرض علىّ غير ذلك — مقاطعة « له على جانب عظيم من الخصوبة ووفرة الثمرات ، اسمها « ياع » كانت حافلة بالحبوب من حنطة وشعير ، فياضة بالفواكه من عنب وتين ، زاخرة بالعسل ، ونبيذها كثير كالماء ، وكانت تمرح فيها قطعان لا حصر لها من الماشية[2] .

ولم يقنع الأمير أن غمرنى بعطاياه ، بل أقامنى — رغبة فى استبقائى إلى جانبه ، والانتفاع بى فى ولايته — أميراً على قبيلة من أضخم القبائل التى تمرح فى ولايته ، فكان رجالها يتكفلون بطعامى كل يوم ، فيقدم لى خير الأطعمة من خبز ولحوم وطيور وغزلان ، وأشهى الأشربة من لبن ونبيذ ، وكان يقدم لى الزبد مستخلصاً من اللبن ، وكثيراً ما كنت أصيد الغزلان أو تصيدها لى كلابى الكلّابة[3] فوق ما كان يُقدَّم إلىّ من رجال القبيلة .

أقمت فى تلك القبيلة سنوات طويلات رزقت فى أثنائها عدة أولاد ، ولما بلغ أولادى أشُدَّهم جعلتهم زعماء على العشائر ، وكنت حاكما باراً كريماً أمد الطعام للجوعان ، والماء للظمآن ، وأبسط رعايتى على كل من يطلب الأمان ، وأبذل عونى لكل من أذله الزمان ، وأعاقب اللصوص وقطاع الطرقات حتى عم

(١) لا ينتظر من مهاجر ضاق وطنه عن إيوائه وهرب بحياته خوفاً من ملكه أن يكون أشد وطنية ولا أبلغ قولا من سينوحيت فقد جمع فى جوابه الهين الأريب بين الترهيب والترغيب ، فنزع من قلب الأمير كل طمع فى عداوة مصر ودل على أن حالها لم تتبدل شراً بل خيراً بموت السابق وتولية اللاحق ، ورفع ملكه ، وهو الفارمن وطنه خوفاً منه ، إلى أعلى منزلة ، وملأ قلب الأمير اطمئنانا إلى خلائق الملك وطيب شمائله وميلا إلى حبه والوفاء له من طريق غير مباشر فهو يتحدث عما يتحدث كأنه يصف أمرا لا يعنيه سوى إحقاق الحق فيه ، وهو يترك للايحاء أن يفعل فعله للوصول إلى ما يطمع فيه .

(٢) لا تزال هذه البلاد حتى اليوم على ما وصفتها القصة

(٣) المدربة على الصيد .

الأمن والرخاء إقليمي ، وكنت أواسي بمالي من انتهب ماله ، وكان قصري ملجأ لذوي الحاجة ، وماضننت بمساعدتي على أحد ممن لاذ بي .

وكان الأمير قد أسند قيادة جيشه إليّ ، فكنت في غزواتي عند حسن رأيه فيّ ؛ وأظهرت من البسالة والحنكة ما ظنني أهله ؛ فما غزوت قوما إلا انتصرت عليهم ، وظفرت منهم بغنائم كثيرة وما عدت من حرب إلا وأنا أسوق معي أسراهم وماشيتهم ، وكنت لا أنفك أدبر مكايد الحروب ، وألقى في المعارك بنفسي ضاربا بحسامي أو راميا بنبالي (١) ، وكانت جموع الساتي تهجم على بلاد الأمير فتعيث فيها فسادا ، فاستطعت أن أوقف غزواتهم وأنقذ البلاد من شرورهم ، وأردهم إلى مواطنهم في القفار .

ولما نمت أخباري إلى الأمير عظمت مكانتي عنده ، وتمكنت محبتي في قلبه .

وكان هناك في أرض تنو بطل صنديد شديد البأس لا نظير (٢) له في قوته وشجاعته ونزاله ، وربما كان قد امتدت عيناه إلى ما أنا فيه من نعم وفيرة وخير سابغ ، فطمع في أن يقتلني ليستحوذ على ثروتي .

جاء هذا الرجل يوما يتحداني ويطلب مبارزتي ، فلم أدر ما دفعه إلى معاداتي ، ولما استشارني الأمير في أمره أجبته :

« لست أعرف الرجل ، ولا أراني نداً له في بطشه ، ولا كفؤا له في قتاله ، ولا أذكر أنني انتهكت له حرمة ، ولا هجمت دارا ولا عثت في أرض . فماذا يدعوه إلى مبارزتي ! لست أظنه إلا حسودا .

ليعلمن هذا الزنيم أنني لست كالعجل بين البقر يتربص (٣) هجوم الثور عليه ليفتك به ، فإن الثور المربر (٤) ولوع بالنطاح ، وليس على الثور الخرع إلا الفرار . سأتدبر أمري معه ولو أنه بدوي مدرب على القتال ، ولنتركه وشأنه حتى يظهر أنه شجاع مقدام ولوع بالنزال وأنه يعني ما يتوعد به » .

شاع خبر المبارزة في البلد وما جاوره ، وبات أهل تنو ليلتهم تلك ومالهم من حديث تلوكه ألسنتهم إلا حديث المبارزة بيني وبين البدوي في الصباح . ونمت أنا تلك الليلة حتى إذا ما تنفس الصبح نهضت من نومي لآخذ للمبارزة عتادها ، فأعددت قوسي ووضعت نبالي في كنانتي (١) ، وما طلعت الشمس حتى كانت الجموع ممن نمى إليهم خبر المبارزة في الجهات المجاورة قد تجمهرت لشهود المبارزة ، وكان القوم يبكون ، والنساء يولولن خوفا علي من خصمي الجبار الذي جاء ليبارزني وقد لبس درعه ولأمته ، وحمل فأسه ، وتأبط كنانته الحافلة بالنبال ، وكان المتجمهرون في حزنهم يودون لو أن مبارزا غيري افتداني وتقدم عني لمبارزته .

وحل موعد المبارزة فخرجنا ، ودعوته إلى أن يبدأ الرمي ففوق نباله إلي ، بيد أني حدت عن طريقها فطاشت نبلة فنبلة ، وحلت نوبتي فتفترت له ثم سددت إليه قوسي ، وما هو إلا أن أطلقت نبلتي الأولى حتى أصمته في نحره ومرقت من عنقه فخر مجدلا يتلوى ويصرخ من شدة أوجاعه ، فاستللت فأسه التي أعدها لذبحي ، وأجهزت بها عليه ، ثم وقفت فوقه وهتفت بأعلى صوتي هتاف الانتصار

عندئذ صاح المتجمهرون صيحات الفرح والغبطة ، حتى لقد بلغ الأمير بمن كانوا معه أن عداهم هذا الشعور الفياض فشاركوهم في ابتهاجهم وحمدوا إلههم منث إله الحرب وأثنوا عليه ، كما ركعت له وصليت إذ مكنني من عدوي . وعندئذ أقبل علي الأمير فاحتضنني وعانقني عناقا حارا دل على محبته وإخلاصه لي ، وابتهاجه بفوزي على غريمي .

وقد انتقمت من خصمي ما وسعني الانتقام ، فسنعت به مثل ما أجمع رأيه على أن يصنع بي ، فما كدت أفرغ من القضاء عليه حتى ذهبت إلى فسطاطه فحطمته بعد أن استحوذت على كل ما فيه من متاع ، كما ضممت إلى ثروتي كل ما كان له من أنعام .

ونبهتني هذه الواقعة إلى حقيقة حالي ، وأحسست بآلام وحدتي في غربتي ، وفرط شوقي إلى وطني ، فعملت على تقوية مكانتي بالاستزادة من الأموال والأنعام لتكون عونا لي عند البلاء ، كما بعثت إلى مولاي الملك هذه الرسالة : « لقد جعلت الإله معتمدي ، فانظر — يا مولاي — ما وهبني من خير جزاء اعتمادي عليه . لقد غادرت وطني مهاجرا خاملا ، فصرت ذا ولاية وسلطان ، ونبه صيتي . وهأنذا — بعد أن كدت أهلك من المخمصة — صرت أمد الناس بالطعام ، وبعد أن كنت عريانا أصبحت أختال في أنفس حلل الكتان ، وبعد أن كنت وحيدا طريدا أصبحت ذا أسرة كثيرة الأبناء ، وفي خدمتي كثير من الحشم ، ولي قصر باذخ فخم ، وأراض خصيبة شاسعة .

(البقية في العدد الآتي)

محمد خليفة التونسي

(٢) النبال الهام . (٢) النظير المثيل .
(٣) يتربص ينتظر . (٤) المربر القوي .

(١) الكنانة وعاء من جلد للسهام .